ر. جاكندوف . ن. شومسكي . ر. فندلر

دلالة اللغة وتصميمها

ترجمة : محمد غاليم ومحمد الرحالي وعبد المجيد جحفة



دار توبقال للنشر

مصادر النصوص المترجمة

راي جاكندوف

الفصل التاسع من كتاب

Jackendoff, Ray 2002, *Foundations of Language, Brain, Meaning, Grammar, Evolution*, Oxford University Press.

نوام شومسكي

Chomsky, Noam 2005, *Three Factors in Language Design, Linguistic Inquiry*, V. 36, N. 1.

زينو فندلر

Vendler, Zeno 1967, *Linguistics in Philosophy*, Cornell University Press, Ithaca, New York.

ر. جاكندوف . ن. شومسكي . ر. فندلر

دلالة اللغة وتصميمها

ترجمة : محمد غاليم ومحمد الرحالي وعبد المجيد جحفة

دار توبقال للنشر

عمارة معهد التسيير التطبيقي، ساحة محطة القطار

بلفيدر، الدارالبيضاء 20300- المغرب

الهاتف / الفاكس: 022.34.23.23 (212) - 022.40.40.38 (212)

الموقع: www.toubkal.ma - البريد الإلكتروني: contact@toubkal.ma

تم نشر هذا الكتاب ضمن سلسلة
أعمال جامعية

الطبعة الأولى نونبر 2007

لوحة الغلاف لعمل الفنان
محمد مليحي

الإيداع القانوني رقم 2007/2490
ردمك 9954-496-37-8

المحتوى

تقديم

«قلت: إن عملية التعريب اتخذت اتجاها بئيسا يجعل الطلبة لا يستطيعون التعرف المباشر على الفكر الحديث، لا في العلوم الدقيقة وحسب بل حتى في العلوم الاجتماعية، وهذا هو الأخطر [...] واجب أساتذة الجامعة أن يدقوا ناقوس الخطر إذ الجيل الذي يتقن اللغات الأجنبية، وهو بذلك على اتصال مباشر بالعلوم الحديثة، يتناقص كل يوم تاركا الساحة لجيل الملخصات. دور الأساتذة هو التعريف بالأصول الحقيقية لا الاتجار بتلخيصها». عبد الله العروي (1985)، خواطر الصباح، حجرة في العنق، يوميات (*1982-1999*)، صص. 199-200. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

يعد هذا الكتاب المترجم لبنة أولى في مشروع طويل النفس نسعى فيه إلى ترجمة نصوص لسانية مؤسِّسة حديثة ومعاصرة. وذلك لتمكين المعرفة اللسانية في الفكر والثقافة العربيين، ودعم الأبحاث اللسانية الرائدة التي ينجزها اللسانيون المغاربة، والعرب بشكل عام، وربط الجسور في مجال البحث العلمي العربي بين اللسانيات وعلوم معرفية متعددة، على غرار ما هو قائم في مراكز البحث المتقدمة في أوروبا وأمريكا وآسيا. وأهم ما يميز النصوص المترجمة أنها تبرز مستوى التطور الذي وصلت إليه اللسانيات، وتطرح قضايا وإشكالات معرفية تتداخل فيها الفلسفة والمنطق وعلم النفس وعلم الأحياء والحاسوبيات، وعلوم أخرى دقيقة متقدمة.

يقدم الكتاب نظريات وافتراضات عن هندسة الملكة اللغوية وعلاقتها بالهندسة العامة للفكر البشري، وعن تطورها وأسسها الأحيائية، والقيود الحاسوبية والمعرفية الموضوعة على تصميمها الأمثل. والناظم بين النصوص المترجمة أنها تتكامل في إعطاء نظرة شاملة ومتسقة عن أهم ما وصل إليه البحث في أسس النظرية اللسانية ومبادئها في التركيب والدلالة.

يتناول نص جاكندوف أسس النظرية الدلالية الحديثة ويناقش أبرز المواقف من المعنى اللغوي، كالمركزية التركيبية لدى ممثلي التيار الرئيس للنحو التوليدي التي مفادها أن المكون التركيبي هو المصدر الوحيد للقدرة التوليدية في اللغة؛ وآراء شومسكي المتنافرة حول ما يفيده مصطلح «الدلالة»؛ ومفهوم «لغة الفكر» وطابعها «القصدي» عند فودور؛ والمعالجات السياقية التي تعتبر المعنى شيئا آخر غير ظاهرة ذهنية أو جزءا من «المحيط»، كاعتباره مرادفا للاستعمال السياقي أو بناء اجتماعيا؛

والمعالجات التي تسعى إلى تقييد حيز الدلالة اللغوية داخل النظرية اللسانية واعتباره جزءا متميزا من المعرفة غير اللغوية والمعنى المبني في السياق، وما يتصل بذلك من قضايا ربط المعنى اللغوي بالفكر والمعرفة الموسوعية أو ميزه منهما. ويناقش جاكندوف أبعاد هذه المواقف انطلاقا من نظرية الدلالة التصورية التي تضع دراسة المعنى في إطار دراسة الذهن/الدماغ الوظيفي وشبكة العمليات المعرفية التي يقوم عليها، فتهتم بتخصيص النسق التأليفي للمعنى باعتباره نسقا توليديا مستقلا بأولياته ومبادئه، وتخصيص وِجاهاته المتصلة بمستويات العبارة اللغوية وبباقي الأنساق الذريعية والإدراكية الواردة. ويستدل على أن هذه النظرية تقدم أرضية مشتركة لمجالات البحث التقليدي المتعددة في دراسة المعرفة، التي تتضمن ليس فقط الدلالة اللغوية، ولكن مجالات أخرى أيضا منها الذريعيات والإدراك والتفكير والتخطيط والفهم الاجتماعي/الثقافي وعلم النفس التطوري.

ويعد نص شومسكي نقلة نوعية على المستوى الإبستملوجي واللساني. إنه يعيد وضع المشروع اللساني ضمن مجال طبيعي ومعرفي واسع هو مجال علم النفس المعرفي ذي الأسس الأحيائية. وقد عرفت اللسانيات التوليدية تطورات هامة، لكن أهمها تطوران. بدأ الأول مع مقاربة المبادئ والوسائط التي أزاحت الحواجز التصورية بحلها للصراع الذي كان قائما بين الكفاية الوصفية والكفاية التفسيرية، وقدمت تفسيرا أنيقا لما يعرف بمشكل أفلاطون ودعما قويا لأطروحة فقر المنبه. وبدأ التطور الثاني، الجوهري، مع البرنامج الأدنوي الذي مكن من تقديم ما أصبح يعرف بالتفسير المبدأ. يقوم هذا التفسير على أن النسق اللغوي الداخلي مصمم على نحو أمثل يستجيب للقيود الوجيهية التي تفرضها الأنساق الخارجية. ويسعى التفسير المبدأ في إطار اللسانيات الأحيائية إلى تجاوز التفسير الخاص باللغة وربطه بالخصائص العامة المرتبطة بأنظمة عضوية أخرى لدى الإنسان. وعليه، فالملكة اللغوية، من هذا المنظور، مماثلة في خصائصها الأحيائية لأنظمة عضوية معرفية أخرى. ومن ثمة، يجب أن نحدد القيود العامة، غير الخاصة باللغة، التي تحكم الأنظمة العضوية البشرية، وأن نعرف، ضمن هذا، ما هي الخصائص الجوهرية التي تعد أساسية للملكة اللغوية. وفي هذا الإطار، يمكن حصر نشوء اللغة عند الانسان في ثلاثة عوامل: (1) التجهيز الوراثي الفطري، (2) التجربة المسؤولة عن التنوع، و(3) مبادئ غير خاصة باللغة (مبادئ تحليل المعطيات ومبادئ الهندسة البنيوية التي تضم، من ضمن ما تضم، مبادئ النجاعة الحاسوبية).

ويعتبر نص فندلر مفصلا هاما في التاريخ المعاصر للبحث اللغوي الدلالي، وذلك بطرحه لأول مرة بوضوح الأسئلة التالية: كيف تميز اللغة بين أنواع الأحداث؟ وكيف تبني في نحوها هذه الفروق؟ يذهب فندلر إلى أن ذلك يتم من خلال التمييز بين خطاطات زمنية متباينة، وبذلك فالفروق زمنية. ولأول مرة يتم الارتكاز على نوع من الاستدلال في بناء ما سيعرف، فيما بعد، بالمقولات الجهية. يقسم فندلر الأحداث إلى أربعة أنواع (وهو ما سيعرف فيما بعد بمقولات فندلر)، وذلك اعتمادا على ما تجليه من فروق زمنية: الأنشطة، والإنجازات، والإتمامات، والحالات. وتميز اللغة بين هذه الأنواع من خلال ارتباط كل نوع منها بخطاطة زمنية معينة. ويؤكد فندلر هذه المقولات اعتمادا على مجموعة من الروائز والاختبارات اللغوية التي تبين أنها جزء من نحو اللغة. ومن الجوانب الهامة

في هذا النص التأسيسي أنه ساهم في وضع العديد من المصطلحات الجهية، وهي المصطلحات التي ستستمر في الأعمال الدلالية والتركيبية، وستشكل منطلقا لكل الدراسات الجهية اللاحقة.

المترجمون

راي جاكندوف

الدلالة مشروعاً ذهْنياً

1. مقدمة

إن المعنى، كما لاحظنا في الفصل الرابع، هو «القدح المقدس» الذي لا تسعى وراءه اللسانيات فقط، ولكن أيضا الفلسفة وعلم النفس وعلم الأعصاب-دون ذكر مجالات أبعد كالنظرية الثقافية والأدبية. إن فهم الكيفية التي ندل بها ونفكر مسألة حيوية في إحساسنا الحدسي بأنفسنا باعتبارنا كائنات بشرية. ويعتبر المعنى حدسا لدى عدد من الناس المسألة المركزية في دراسة اللغة-والأكثر أهمية بكثير من فهم تفاصيل رتبة الكلمات أو الصرف. وأظن أن اللسانيين حاولوا عبر السنين أن يعلنوا اتفاقا واسعا عن أن دراسة اللغة تفيدنا في فهم الطبيعة البشرية. وأيام كانت البنية العميقة تعتبر مفتاح المعنى، كان من المناسب أن يكون مثل هذا الإعلان مثيرا. ولكن أخيرا، عندما تم استعراض أمثلة تتعلق بظواهر جوهرية كاستعمال الضمير والنبر في الكلمة، تضاءل اهتمام الجمهور. من المؤكد أن هناك أشياء هامة تذكر هنا حول طبيعة التعلم والفطرية، لكن ما يريد الناس فعلا معرفته هو المعنى أيضا. ولم يكن صنيع النحو التوليدي على العموم جيدا في الوفاء بالوعد الذي كان موضوع خطاب شديد الإغراء في كتاب المظاهر.

إن المسألة تتعدى مجرد نقاشات فلسفية عن الطبيعة البشرية. وكما تمت الإشارة إلى ذلك منذ زمن بعيد يعود إلى بار-هيلل Bar-Hillel (1970)، فإن التطبيقات العملية الممكنة للنظرية اللسانية كالترجمة الآلية تتعثر بدون رصد للمعنى. وقد قلت إن اللسانيين الحاسوبيين يمزحون قائلين إنهم كلما سمعوا مشتغلا باللسانيات النظرية، فإن برامجهم تصبح أقل نجاعة. والمشكل أن التركيب الجذاب وحده ليس هو الذي يستعمل كثيرا في مجال الفهم الآلي.

إن الجزء الأكبر من عملي الشخصي في السنوات الثلاثين الماضية توجه نحو تطوير رصد للمعنى يتلاءم، في نفس الوقت، مع الأسس النفسية للنحو التوليدي ومع روح تقانته الصورية__ ومن ثمة تخليت عن اهتمامات التيار الرئيس في النحو التوليدي. وأثناء ذلك وجدت من الضروري أيضا التخلي عن الكثير من اهتمامات التيار الرئيس في الدلالة وفلسفة الذهن، إما لأسباب تعود إلى المبادئ الأولية، وإما لأن أنواع التعميم اللساني التي كنت أتمنى التعبير عنها غير مفهومة في الأطر الأكثر معيارية. وأخصص هذا الجزء الأخير من الكتاب لدراسة خارطة المعنى من المنظور المتوصل إليه.

يتعلق هذا الفصل والذي يليه بمسائل الأسس؛ ويتبعهما فصلان يتناولان فئة واسعة من النتائج ذات الأساس التجريبي في الدلالة المعجمية والمركبية. والحال أن القارئ يفهم أننا لا يمكن في الممارسة الفعلية أن نقيم أولا الأسس ثم بعد ذلك نشرع في العمل. وإنما تعتبر النتائج التجريبية جزءا مما يحفز على البحث عن أسس جديدة. إنني مهتم ببناء موقف من المعنى يجعل بالإمكان، انطلاقا منه، إضفاء معنى على نوع البحث التجريبي المفصل الذي يقوم به اللسانيون. والعلاقة بين الفلسفة والعمل القذر يجب أن تكون طريقا ذا اتجاهين.

* * * * *

أقترح أن أبدأ من المسلمة التالية التي من المؤكد أنه لا خلاف حولها:

يعتبر الناس الجمل (وكيانات أخرى) ذات معنى لأن شيئا ما يجري في أدمغتهم.

أي أن اهتمامنا، في نهاية المطاف، ليس بالسؤال: ما المعنى؟ ولكن بالأحرى: ما الذي يجعل الأشياء ذات معنى لدى الناس؟ وهذا يربط المشروع بنظرية علم النفس وبالتجربة البشرية العادية على حد سواء.

والمسلمة الثانية هي:

ليس في الأمر سحر.

أي أننا نبحث حقا عن تفسير طبيعي يمكنه في نهاية الأمر أن يندرج في فهمنا للعالم الفيزيائي.

ودون مثل هذا التفسير ثمن باهض. ومجمل ما ينبغي تذكره أن:

المعنى مركزي في كل ما هو بشري.

فإذا لم تكن مستعدا للتعامل، على الأقل، مع اللغة والذكاء والوعي والذات والتفاعل الاجتماعي والثقافي، فإنك لن تفهم المعنى.

2. الدلالة مقابل التيار الرئيس في النحو التوليدي

كما أشعرت من قبل، لم يكن للنحو التوليدي على العموم سوى القليل مما يقوله عن المعنى. لقد تم تطوير المساهمات المبكرة لدى كاتز وفودور (1963؛ كاتز 1972) Katz, Fodor، وبيرفيتش (1967؛ 1969) Bierwisch، وفينريش (1966) Weinreich، من بين آخرين، في سياق نظرية المظاهر التي ربطت البنية العميقة مباشرة بالمعنى. وقام جيري فودور (1975؛ 2000) لسنوات عديدة بمحاولة دالة لإقامة أسس نظرية للدلالة بما يوافق (ما يعتبره) أهداف النحو التوليدي. لكن خلاصاته، كما سنرى، كانت تخالف كل الأعمال التجريبية المفصلة بخصوص المعنى إلى حد يفقد المشروع مصداقيته في أعين الدلاليين التطبيقيين. في أعقاب الخلاف حول الدلالة التوليدية (انظر الفقرة 2.4). تحول أغلب نحاة التيار التوليدي الرئيس عن الدراسة النسقية للمعنى، تاركين المجال واسعا للعاملين في التخصصات الجديدة النامية للدلالة الصورية واللسانيات الحاسوبية وعلم النفس وعلم الأعصاب المعرفيين، وفي مرحلة متأخرة بعض الشيء، للنحو المعرفي. ورغم أن كل هذه المقاربات سجلت تقدما

هاما في فهم المعنى، فإن أيا منها لم يحقق اتصالا تاما بالأهداف العامة للسانيات التوليدية التي ناقشناها في القسم الأول. وبالفعل، فإنها في أحيان كثيرة، تبنت رفضا بالجملة للنحو التوليدي بسبب إهماله للمعنى. وقد تجلى، ذلك، في الغالب، في صورة رفض لمفهوم «المكون التركيبي الصوري المستقل»، بل حتى لمفهوم النحو نفسه في بعض الحالات. وغالبا ما تم الطعن في مفهوم الفطرية؛ وشككت بعض التوجهات حتى في مفهوم وجود اللغة في الذهن.

وأشك في أن السبب الكامن وراء هذه الموجة الهاوية من الرفض هو المركزية التركيبية في التيار الرئيس للنحو التوليدي: أي الزعم القائل إن المكون التركيبي هو المصدر الوحيد للقدرة التوليدية في اللغة (انظر الفصل الخامس). لقد كان لهذا الزعم، الذي أصبح أساسيا إلى حد جعله لا شعوريا سنة 1975، الأثر الضمني في (وأعتذر عن العبارة) خَصْي الدلالة- في إعطاء الإرساليات التي تحملها اللغة دورا أقل بكثير من المرسل. وعملت المقاربات البديلة، في مقابل ذلك، على إطلاق النار على المرسل.

وهذا خطأ حقا. لننظر في الجملة الصغيرة الفقيرة التي أوردناها في الفصل الأول، ونعيدها هنا في (1). من المؤكد أن من الوقائع المتعلقة بالمعنى وجوب تمييز (1) من عدد لا نهاية له من الجمل الأخرى التي تعني أشياء مختلفة مثل الجمل في (2):

1. The little star s beside a big star

«النجمة الصغيرة بجانب نجمة كبيرة»

2. أ. A little star's beside the big star

«نجمة صغيرة بجانب النجمة الكبيرة»

ب. Every big star is beside some little star

«كل نجمة كبيرة بجانب نجمة صغيرة ما»

ج. Is the little star beside a big star ?

«هل النجمة الصغيرة بجانب نجمة كبيرة؟»

د. The little goat is inside a big tent

«العنزة الصغيرة بداخل خيمة كبيرة»

ه. John falsely believes that the little star's beside a big star

«يعتقد جون خطأ أن النجمة الصغيرة بجانب نجمة كبيرة»

و. Throw Momma from the train

«ارم موما من القطار»

لكن من الوقائع المتعلقة بتركيب الأنجليزية، وليس بالمعنى، أن (1) يجب تمييزها من متواليات الكلمات في (3)- التي يمكن أن تكون الطريقة التي يحمل بها نفس المعنى في لغة أخرى.

3. أ. The star little a star big beside is

«النجمة صغيرة نجمة كبيرة بجانب»

ب. Big star beside little star

« نجمة كبيرة بجانب نجمة صغيرة»

ج. The (masc.nom.) little (masc. nom.) star.

is beside a (masc. dat.) big (masc. dat.) star

«الـ(مذكر مرفوع) صغير (مذكر مرفوع) نجمة بجانب

أداة تنكير (مذكر ممنوح) كبير (مذكر ممنوح) نجمة».

أي أننا نحتاج إلى مبادئ صورية تركيبية لرصد وقائع قاعدية تتعلق برتبة الكلمات الخاصة بلغة معينة، وبرتبة المركبات وبالمقولات الوظيفية كالحدود، وبالفعل كان، وبإعراب أواخر الكلم. أن تختار اللغة في رتبتها الفعل ثانيا أو في الأخير، وأن تضع الصفات قبل الاسم أو بعده، وأن يكون لها نسق قوي لإعراب أواخر الكلم أو لا يكون مطلقا، فتلك وقائع لاعلاقة لها بالدلالة.

إن هناك بالفعل مسائل كبرى تتعلق بإلى أي حد يعتبر التركيب مستقلا عن الدلالة. ولقد تفحصنا بعض ذلك على هذا الأساس في الفقرة 7.6، حيث ناقشنا إمكان حمل بعض البنيات التركيبية، إن لم تكن كلها، شحنات ذاتية من المعنى، مثل الفاعل الذي يميل إلى أن يؤول باعتباره منفذا إذا أمكن ذلك. ومن الحالات الأخرى الواردة والحاضرة في الأدبيات حالة حيز التسوير في جمل مثل (4أ) التي تعتبر ملتبسة بين تأويلين توحي بهما التكملتان في (4ب، ج).

4. أ. Everyone in this room knows two languages

«كل واحد في هذه القاعة يعرف لغتين»

ب. ______namely German and English

«______ تحديدا الألمانية والأنجليزية»

ج. Jeff knows Georgian and German, Herb knows Hebrew and Hausa, I know Italian and English

«______ جيف يعرف الجورجية والألمانية، وهيرب يعرف العبرية والهاوسا، وأنا أعرف الإيطالية والأنجليزية».

من المؤكد أن هذه التأويلات المختلفة يجب التمييز بينها في البنيات المعرفية المرتبطة بالمعنى. والسؤال هل هي مميزة في البنية التركيبية أيضا، في مستوى غير البنية السطحية. لقد اعتبر النحو التوليدي في بدايته (انظر شومسكي 1957) أنها ليست كذلك. وكانت نظرية المظاهر (شومسكي 1965) متناقضة؛ واعتبرت الدلالة التوليدية (ليكوف Lakoff 1970) أنها كذلك؛ واعتبرت نظرية العاملية والربط بعد إدخال الصورة المنطقية (شومسكي 1981) أنها كذلك؛ ولكشف أوراقي، اعتبرت أنها ليست كذلك (جاكندوف 1972؛ 1996). ومهما كان الجواب، فإن من مشاكل البحث الكبرى، المطروحة للنقاش خلال الأربعين سنة الماضية، تحديد مدى مقدار المعنى الذي يعلن عنه التركيب بصفة مباشرة. وإقصاء التركيب الصوري يجعل من المستحيل حتى الإقرار بإمكان مثل هذه المشاكل.

إن التحول المناسب، كما أقترح، ليس في إقصاء التركيب (دون ذكر النحو التوليدي كله)، ولكن في إقصاء المركزية التركيبية. وعند ذلك يمكن طرح هذه المسائل من خلال ميزان القوى بين عدد من المكونات الوِجاهية (interfaces) والتوليدية، كما قمنا باستكشاف ذلك في القسمين الأول والثاني. ويمكننا أن نَتحدث عن التركيب باعتباره «شبه–مستقل» إذا أردنا؛ فتكون المسائل عندئذ متعلقة بدرجة (عوض واقع) الاستقلال. ويبقى بإمكاننا الإقرار بأن نظرية اللغة تكون ناقصة بصورة مفجعة بدون رصد جاد للمعنى. لنبدأ إذن.

3. المعنى ووجَاهاته

نظرا إلى فوضى المواقف المتداخلة من المسائل المطروحة، يستحسن أن أبدأ بعرض تطلعاتي الخاصة في ما يتعلق بالنظرية الدلالية، ثم أقارنها بالتصورات البديلة المختلفة. وأعتبر أن المشكل القاعدي يكمن في وضع دراسة المعنى داخل دراسة الذهن الوظيفي (f- mind).

(5) كيف يمكن تخصيص الإرساليات/ الأفكار/ التصورات التي يعبر عنها/ينقلها المتكلمون عن طريق استعمال اللغة؟

(6) كيف تعبر اللغة عن/ تنقل هذه الإرساليات؟

وأترك، عن قصد، العبارات: «إرساليات/ أفكار/ تصورات» و«يعبر عن/ ينقل» بدون تحديد مؤقتا. ويتعلق جزء من عملنا بتدقيقها. ويمكن، على الخصوص، لأحد أن يسأل:

(7) ما الذي يجعل بإمكان هذه الكيانات الذهنية الوظيفية أن تقوم بوظيفة المعاني؟

إن السياسة الثقافية، لسوء الحظ، تبدأ هنا على الوجه الصائب: ليست هذه هي الطريقة التي يؤول بها أي كان مصطلح «الدلالة». وعوض الدخول في حجج قائمة على امبريالية مصطلحية، سأستعمل مصطلح «الدلالة التصورية» (conceptualist) باعتباره مصطلحا فنيا لهذا المشروع.[1] وقبل كل شيء، لا أحب أن أقع في فخ السؤال: هل هذا المشروع فعلا نمط من الدلالة أم لا؟ والأسئلة الواردة هي: هل هذا المشروع طريقة مجدية لدراسة المعنى؟ إلى أي حد يمكنه أن يشمل حدوس وأفكار مقاربات أخرى، وإلى أي حد يمكنه أن يقدم أفكارا متعذرة في مقاربات أخرى؟ حتى يمكن لنظرية للدلالة التصورية أن تدمج في نظرية أوسع للذهن الوظيفي، يجب أن يتبين أن الإرساليات/ الأفكار/التصورات التي تنقلها اللغة تخدم أغراضا أخرى كذلك. إنها، في نهاية المطاف، تستعمل في العمليات المعرفية التالية:

- العمليات التي تدمج الإرسالية المنقولة لغويا في المعرفة الوظيفية الموجودة، بما في ذلك فهم السياق.
- العمليات التي تقوم بالاستنتاجات وتصدر الأحكام، والقائمة على التفاعل بين الإرسالية المنقولة لغويا والمعرفة الوظيفية الأخرى.

---

1. إن مجموع التراحاتي الخاصة التي سميتها دلالة تصورية (conceptualist) (جاكندوف 1990)، تعتبر مثالا للمقاربة، ولكنها ليست الإمكان الوحيد.

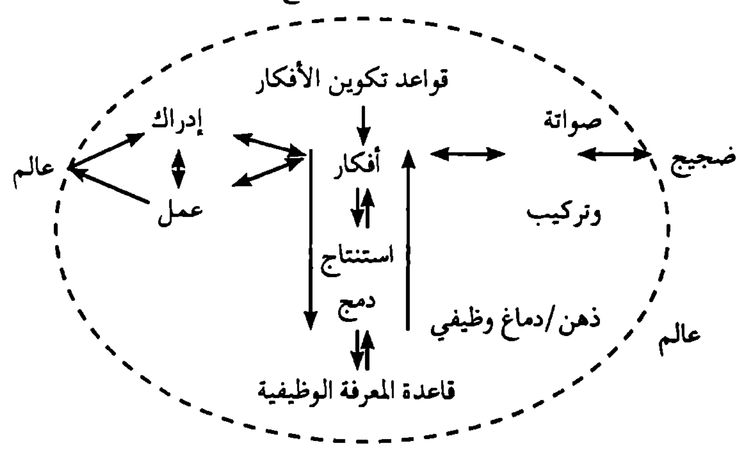
• العمليات التي تستعمل الإرساليات المنقولة لغويا لتوجيه الانتباه إلى العالم كما تدركه الحواس وإصدار أحكام بصدده.

•العمليات التي تربط الإرساليات المنقولة لغويا بالأعمال الفيزيائية التي نخضع لها العالم ونمارسها فيه.

إن هذه المجموعة من العمليات التفاعلية يمكن إدراجها في خطاطة هندسية من النوع المعتاد في القسم الثاني. ويكمن التجديد الرئيس في الخط المتقطع الذي يرسم الحدود بين الذهن الوظيفي و«العالم»، وهي سمة نعود إليها بعد حين.

في الرسم 1.9 تم كبس الصواتة والتركيب في وجاه واحد يربط الأفكار في الذهن الوظيفي بضجيج العالم، وذلك لنقله من متكلم إلى آخر. ولو كان علينا أن نسلط المكبر على هذا «الصندوق اللغوي» لرأينا كل الهندسة المركبة للصفوف (tiers) والوجاهات في الصواتة والتركيب التي ناقشناها في القسم الثاني.

والحال أن الذي يدعو إلى الاهتمام هنا، هو الجزء الواقع إلى يسار الصواتة والتركيب: البنيات المعرفية التي سميناها «أفكارا» والوجاهات المتعددة التي توصل إليها. لقد دافعنا في الفصل الثالث عن أن تأليفية اللغة تخدم أغراض الإرساليات المركبة من نسق تأليفي للأفكار أيضا: فالجملة تنقل معنى مبنيا تأليفيا من معاني كلماتها. ومن ثمة، فإن جزءا من عملنا يتعلق بتخصيص هذا النسق التأليفي الذي تمثله «قواعد تكوين الأفكار» في الرسم 1.9. وهذا يدخل في حيز السؤال (5) سابقا. وسنرى في الفصل 12 أن «تبئير» هذا المكون يؤدي إلى بنية هندسية من الصفوف، مثلما هو الحال تماما في الصواتة والتركيب. ويتعلق جزء آخر من العمل بتخصيص قواعد الوجاه التي تسقط هذه البنيات التأليفية على البنيات اللغوية الخالصة للتركيب والصواتة –وهو مضمون السؤال (6). وعلينا، على الخصوص، أن نتمكن من رصد الكيفية التي يمكن بها (إلى هذا الحد أو ذاك) لنفس الفكرة أن تسقط في تعابير لغات مختلفة، خالقة إمكان ترجمة يمكن أن تبلغ حدا معقولا من الجودة.



الرسم 1.9 موقع الدلالة التصورية في الذهن الوظيفي

إن هذين المشروعين-أي تخصيص النسق التأليفي للمعنى ووجاهاته المرتبطة بالتعبير اللغوي- أقرب إلى ما يسمى غالبا بـ«الدلالة اللغوية». ولننظر الآن في الوجاهات الأخرى. إن استعمال الأفكار/التصورات لإنتاج أفكار/تصورات إضافية هو ما يسمى عادة ب«الاستنتاج» أو «التفكير». وبما أننا مهتمون بدراسة أناس واقعيين وليس فقط مثاليين، فإن هذا الوجاه يجب أن لا يتضمن التفكير المنطقي فحسب ولكن أيضا رسم الخطط وتكوين المقاصد لغاية الفعل-أي ما يسمى «تفكيرا عمليا» (براتمان Bratman 1987؛ كانمان وآخرون Kahneman 1982؛ جيجرنزر 2000 Gigerenzer) و «تفكيرا اجتماعيا» (توبي وكوسميدس Tooby and Cosmides 1992)[2] وما يهم، بالنسبة لأغراضنا الحالية، أن كل هذه العمليات تشتغل على نفس النوع من البنيات المعرفية التي يمكن أن تعبر عنها/تنقلها اللغة. فهذه النظريات تضع، إذن، قيودا حدودية على بعضها البعض.

والأمر كذلك بخصوص إدماج الأفكار التي تنقلها اللغة في المعرفة أو المعتقدات الوظيفية السابقة. ويتعلق جزء من المعرفة الوظيفية بإحساسنا بالسياق التواصلي، بما في ذلك إحساسنا بمقاصد المخاطب. وبذلك فعمل هذا الوجاه وثيق الصلة بما يسمى عادة بـ«الذريعيات».

والوجاهات المتصلة بالأنساق الإدراكية هي ما يسمح لنا بتكوين الفكر المؤسس على ملاحظة العالم (بما في ذلك إحساسنا الداخلي بأجسادنا). وبالمقابل، فإننا باستعمال هذا الفكر دخلا لإنتاج اللغة، يمكننا أن نتحدث عما نراه ونسمعه ونذوقه ونحسه. وتشتغل هذه الوجاهات في الاتجاه الآخر كذلك: فيمكن لإدراك اللغة أن يوجه الانتباه إلى جزء خاص من الحقل الإدراكي (هل ترى ذاك الطائر هناك فوق؟ لا تكترث بالإنسان الصغير وراء الستار!). ونعود إلى الوجاه المتصل بنسق العمل، إذ هو الذي يسمح لنا بتنفيذ مقصد معين-بما في ذلك تنفيذ مقصد تكوّن للجواب عن أمر أو طلب محمولين لغويا.[3]

ومن المهم، مرة أخرى، أن نؤكد أنه حتى يمكن لهذه الأنواع من التفاعل التي ذكرنا أن تأخذ مكانها، فإن كل هذه الوجاهات تحتاج إلى أن تلتقي في بنية معرفية مشتركة. فالنظر إلى الفكر عبر عدسة اللغة وحدها لا يمدنا بالقدر الكافي من القيود على النظريات الممكنة. إن مجموعة من القيود الحدودية أغنى وكثيرة المتطلبات تنبثق من الإلحاح على أن الفكر يجب أيضا أن يتصل بالاستنتاج والمعرفة الخلفية والإدراك والعمل.

ومن المظاهر الهامة للتصور الحالي أن الفكر مستقل عن اللغة ويمكن أن يأخذ مكانه في غيابها. وهذا يسير في الاتجاه المضاد للحدس المشترك الذي يعتبر أن الفكر يأخذ مكانه «في اللغة»، كما في قول القائل: «هل تفكر بالأنجليزية أم بالفرنسية؟» وموقفي هو أن الصورة اللغوية تقدم وسيلة للفكر

---

2. أميل إلى الظن بأن دراسة التفكير المختل (أو العصبي والمهووس/ الفصامي)، وكذلك «منطق» الأحلام، تدخل في هذا الباب أيضا (جاكندوف 1992 ، ف. 5).

3. لا حاجة للتأكيد، طبعا، أننا إذا سلطنا «المكبر» على وجاهي الإدراك والعمل في الرسم: 1.9 سنجد أنساقا تبلغ من التفريع الغني ما تبلغه الوجاهات اللغوية. فالنسق البصري وحده معقد إلى حد كبير؛ يجعل اللغة تبدو، بالمقارنة، بسيطة. ومن الطبيعي أنه احتاج إلى وقت أكبر للنمو أيضا.

ليكون في متناول الوعي (والتصوير الخيالي البصري وسيلة أخرى)؛ إننا «نسمع الصوت الصغير في الرأس» وبواسطة ذلك «نعرف ما نفكر فيه». ولنلاحظ، مع ذلك، أن صورة الوعي المعنية صواتية أساسا. فما «نسمعه» هو الكلمات، المنطوقة ببنيات نبرية. وفي نفس الوقت، لا يمكننا تحديد قواعد الاستنتاج على أساس البنية الصواتية، فهي ليست إذن الوسيط الملائم للتفكير. والمستوى المطلوب لتحقيق التفكير هو البنية التصورية، ويمكن للتفكير أن يقوم حتى بدون أي ارتباط باللغة، فيكون في هذه الحالة لا واعيا. والخلاصة أن هناك لاترابطا بين الصورة التي يتخذها الوعي والصورة اللاواعية المسؤولة عن الفهم. وأستدل في جاكندوف (1987؛ 1997 ، ف.8) على أن تعرف هذا اللاترابط يساعد على حل عدد كبير من الإشكالات التقليدية حول الوعي.

إن هذا التصور للفكر يمكننا من ربط الصلة مباشرة بالاعتبارات التطورية أيضا. لنفترض محو وجاه الصواتة/التركيب من الرسم: 1.9، سنحصل عندها على هندسة تليق كذلك-بصورة تقريبية-بذوات غير لغوية كالقرود. فهي أيضا تكشف عن اندماج معقد للإدراك والعمل والاستنتاج والمعرفة الخلفية، في المجالين الفيزيائي والاجتماعي (كوهلر Köhler 1927 ؛ كودل Goodall 1971؛ بيرن ويتن Byrne and Whiten 1988؛ دو وول de Waal 1996). ومما هو دال تطوريا أن نفترض أن بعض الأجزاء الأساسية من الفكر البشري موروثة عن أسلافنا من الأحياء العليا (primates). وكما لاحظنا في الفصل الثامن فإن التطور لا يتخلى عن الأفكار الجيدة بل يبلورها ويهذبها.

أن نعتبر إمكان استحضار الاعتبارات التطورية يعني طبعا أن نعتبر أيضا أن بعض الخصائص العامة للفكر يحددها نظام المورِّثات (genome)-وهو حاليا مشترك جزئيا مع أنواع وثيقة الصلة. ولن أبلور هذه الفكرة هنا، فقد خصصنا ما يكفي في الفصل الرابع للنظر في معنى أن يكون لقدرة معرفية معينة أساس وراثي. وكما هو الحال بخصوص التركيب والصواتة هناك مطلبان متنافران في بلورة نظرية للمظاهر الفطرية للفكر. فمن المطلوب، أولا، أن نحافظ على المساهمة الوراثية في حدودها الدنيا، وأن تكون من النوع الذي يمكن أن يرمز، حاليا، في المورِّثات (حبذا لو كنا نعرف كيف كان ذلك!). ولكن يجب، ثانيا، أن يكون الأساس الفطري غنيا بما يكفي، هندسيا وماديا، حتى يتحمل اكتساب التصورات البشرية ودور الفكر في النشاط والتجربة المستمرين.

وحتى أكشف أوراقي مرة أخرى، أرى على الأقل ثلاثة مجالات رئيسة للفكر تستدعي عمادا ماديا من الأساس الوراثي. الأول هو فهم العالم الفيزيائي: أي تعرف الأشياء وبنياتها الفضائية بالنظر إلى بعضها البعض، والأحداث التي تعتبر جزءا منها وتتفاعل في إطارها، والفرص التي تتيحها للعمل عليها وبها. والثاني هو فهم العالم الاجتماعي: أي تعرف الأشخاص، وأدوارهم الاجتماعية بالنظر إلى بعضهم البعض (بما في ذلك قضايا مثل القرابة، والسيطرة، وعضوية المجموعات، والواجبات، والحقوق، والأخلاق)،[4] وتخصيصُ معتقداتهم وحوافزهم (أي ما يسمى «بنظرية الذهن»). والثالث

4. كما هو الحال في اللغة، لا يمكن للمكون الفطري أن يخصص الأدوار الاجتماعية والأخلاقية وما إلى ذلك. إنه يخصص فقط فضاء التصميم الذي تدخل فيه الأنساق الاجتماعية البشرية، وبواسطته تتم مساعدة الأطفال على تعلم النسق الاجتماعي الذي يجدون أنفسهم ناشئين فيه. انظر جاكندوف (1994، ف. 15).

هو الجبر (algebra) القاعدي للإفراد والمقوّلة والتجميع والتفكيك الذي هو عماد الأنساق السابقة الذكر وعدد آخر غيرها. وسنرى أجزاءا من هذه الأنساق في الفصول القادمة.

إن الدلالة التصورية، باختصار، تطمح إلى تقديم أرضية مشتركة لمجالات البحث التقليدي المتعددة في دراسة المعرفة، والمتضمنة ليس فقط الدلالة اللغوية، ولكن أيضا الذريعيات والفهم الإدراكي والمعرفة المجسدة والتفكير والتخطيط والفهم الاجتماعي/الثقافي، والمعرفة الخاصة بالرئيسات، وعلم النفس التطوري. إنه طموح كبير لكنه يستحق السعي وراءه بالتأكيد. إن ما تبقى من هذا الفصل يجب تخصيصه، مع الأسف، لمواجهة عدد من المحاولات الرامية إلى تضييق حيز النظرية الدلالية. وأرجو، مع ذلك، أن نخرج بشيء إيجابي منه- أن يلمس القارئ دلالة المشروع، وأن تولد هذه الاشتباكات الأولية بعض الشجاعة تحسبا للقاءات أكثر صعوبة في الفصل القادم.

4. الدلالة عند شومسكي وفودور

من الأسباب التي جعلت الدلالة تلعب مثل هذا الدور الثانوي نسبيا في التيار الرئيس للنحو التوليدي، التناقض الظاهر لدى شومسكي نفسه. فهو، من جهة، يستدل بقوة على مقاربة داخلية (نسميها هنا «تصورية») للمعنى، كما في الأبحاث المجموعة في شومسكي (2000). لكنه، من جهة أخرى، وبغض النظر عن تقديم أمثلة قليلة معبرة، لم يسبق له أن حاول تطوير مقاربة داخلية نسقية. وزيادة على هذا، فإن شومسكي، حين يتعرض للضغط، يعبر عن أحاسيس قوية التنافر من مصطلح «الدلالة» نفسه. وأريد أن أستشهد بفقرات قليلة من حوار حديث معه (سيلا-كوند ومارتي 1998 Cela- Conde and Marty: «حوار مع نوام شومسكي».Syntax 1: 36-19، بإذن من بلاكويل).

منذ البداية، كانت دوافع العمل في النحو التوليدي مرتبطة أولا بالقضايا التي تسمى عادة «دلالة» ...: أي بكون الشخص الذي لا يملك سوى تجربة محدودة مع اللغة بتوصل بكيفية معينة إلى فهم تعابير جديدة بطرق خاصة جدا...

شخصيا، أفضل استعمال مصطلح «تركيب» للإحالة على هذه الموضوعات؛ ويستعمل آخرون مصطلح «دلالة» الذي أفضل حصره في دراسة ما يسمى غالبا ترابطات بين «اللغة والعالم» -أو بتعبير أنسب، في تصوري، ترابطات بين اللغة وأجزاء أخرى من العالم، بعضها داخل الذات (ويحتمل أن يتعلق بالأعضاء النطقية والأنساق التصورية، من بين أشياء أخرى)، وبعضها خارج الذات، مثل الحاسوب الذي استعمله الآن. (27).

إن خاصية التبعية الإحالية [أي العلاقة بين الضمير وسابقه] تسمى غالبا «دلالية» لأنها تلعب دورا في ما تعنيه العبارات وفي الكيفية التي تفهم بها. وأفضل أن أسميها «تركيبية» لأن المسألة لم تبلغ بعد علاقات اللغة بالعالم؛ إنها محصورة في ما هو «في الرأس». ومثل هذا، يجب أن نميز بوضوح البحث في الكيفية التي تربط بها الأنساق الحسية الحركية التعابير بالأصوات، من دراسة المعلومات التي تزود بها اللغة الأنساق الحسية الحركية، وكيف تبنى عن طريق عمليات داخلية. وسأفضل الاحتفاظ بمصطلح «أصوات» للمسألة الأولى، والنظر إلى الأخيرة باعتبارها جزء من التركيب، بمعناه العام، الذي يتضمن ما يسمى «صواتة». ومن المهم الاحتفاظ بهذا التمييز في الذهن. (8-27).

إن استعمال مصطلح «دلالة» للإحالة على دراسة علاقات اللغة بالعالم، و«تركيب» للإحالة على دراسة خصائص الأنساق الرمزية في حد ذاتها، يبدو لي وضعيا تماما. (30).

إن دراسة المظاهر الذهنية للعالم، حسب ما يصل إليه فهمي، تؤدي بنا إلى التسليم بوجود أنواع من الأنساق المعرفية (من بينها اللغة)، تملك خصائصها الذاتية وتتفاعل بطرق متنوعة. والدراسة الداخلية لهذه الأنساق هو ما سأفضل تسميته «تركيبا». ودراسة الكيفية التي يستعمل بها الناس هذه الأنساق تسمى غالبا «ذريعيات». وإذا فهمت الدلالة بكونها دراسة لعلاقة «الكلمات/

التصورات بالأشياء»، حيث «للأشياء» تأويل غير داخلي، فليس هناك إذن، موضوع مثل دلالة اللغة الطبيعية... وبعكس هذا، إذا فهمت الدلالة بكونها دراسة علاقات اللغة (أو التصورات) بالعالم الخارجي والداخلي، فإن هناك إذن مثل هذا الموضوع؛ إنه إلى هذا الحد أو ذاك مساو للأصوات، باعتبارها علاقة بين العناصر اللغوية (الداخلية) وحركة الجزيئات (الخارجية) في الهواء وما شابه ذلك، ولكن دون أن تستلزم مفاهيم مماثلة للإحالة بمعناها التقني. (2-31).

من الواضح أن في ذهن شومسكي مفهوما معينا للدلالة متميزا حقا من الدلالة التصورية بالمعنى المحدد في الفقرة السابقة. ويسند كارناب (1964) Carnap وديفس (1999) Davis هذه الطريقة في تقسيم التركيب والدلالة والذريعيات إلى الوضعي المنطقي شارلز موريس Charles Morris. وبالفعل، فإن معنى «التركيب» في هذه الفقرات أوسع بكثير من استعماله العادي في اللسانيات: إنه يحيل على تنظيم أي نسق تأليفي في الذهن. وبهذا المعنى فإن الصواتة وحتى الموسيقى تركيب أيضا. ولكن «التركيب» بمعناه الأضيق الجاري الاستعمال في النظرية اللسانية، يحيل على التنظيم الصوري لوحدات مثل م س و م ف.

إن أي نظرية للدلالة اللغوية تقريبا تزعم أن المعنى/التصورات يشكلان نسقا تأليفيا، أي أن لهما تركيبا بالمعنى الواسع. لكن عناصر النسق متميزة من عناصر التركيب بالمعنى الضيق.[5] ودراسة هذا النسق هي التي يبدو أنها تندرج في الاستعمال «الوضعي» لمصطلح «دلالة».

إن شومسكي حر بلا شك في أن يفضل استعمال «التركيب» بمعناه الأوسع. وهذا هو المعنى المقصود ظاهريا حين يخصص المستويين التركيبيين ص ص (الصورة الصوتية) وص م (الصورة المنطقية) باعتبارهما «تمثيلين مباشرين للصوت من جهة وللمعنى من جهة أخرى» (شومسكي 1986: 68). والصواتيون والأصواتيون والدلاليون يمكنهم أن يعذروا عن حق إذا ما احتاروا أمام هذا التخصيص، بالنظر إلى أن النظرية الصورية الفعلية في كل كتابات شومسكي منذ 1970 كانت نظرية للتركيب بالمعنى الضيق. والأقوال المستشهد بها أعلاه تساعد على توضيح قصد شومسكي؛ لكنها لا توضح ممارسته.

لننظر، على الخصوص، في مثال شومسكي عن التبعية الإحالية. إنه بالطبع على صواب في القول إن علاقة الضمير بسابقه توجد «في الرأس»، ومن ثمة فهي علاقة تركيبية بالمعنى الواسع. ولكن منذ الستينيات حملت الأدبيات كثيرا من النقاش حول ترميز هذه العلاقة مباشرة في التركيب الضيق أو ترميزها جزئيا أو حتى بصفة أولية في البنية الدلالية/التصورية (ليز وكليما Lees 1963 and Klima؛ روس Ross 1967؛ جاكندوف 1972؛ شومسكي 1981؛ لسنيك Lasnik 1989؛ كونو Kuno 1987؛ فان فالين Van Valin 1994؛ فان هوك Van Hoek 1995؛ كوليكوفر وجاكندوف Culicover 1995؛ ليفنسون Levinson 2000؛ حتى لا نذكر سوى القليل من مئات الإحالات). إن الاكتفاء بالقول، «طيب، أفضل تسمية الكل تركيبا»، دون تمييز التركيب الواسع من الضيق، يعتبر

5. إن الاستثناءين الذين أعرفهما يشملان الدلالة التوليدية، حيث يطابق المعنى البنية التركيبية التحتية (ليكوف 1971)، ومقاربة أنا فيرزبيكا (1988 Anna Wierzbicka؛ 1996؛ كودار وفيرزبيكا Goddar 1994)، التي تزعم أن معاني الكلمات تفسر من خلال نوع من «الأنجليزية الأساسية»، باستعمال صور لغوية عادية.

مقابلا خطابيا لقول معارضي النحو التوليدي: «الكل دلالة». والنتيجة استحالة التعبير بوضوح عن القضايا المطروحة.

لننظر أيضا في ما يحب شومسكي تسميته «دلالة». إنه، حسب ما أستطيع فهمه من هذا التخصيص، يتحسس مفهوم مكون وجاهي: «الدلالة» علاقة بين نوع من البنيات ونوع آخر، وهذا بالضبط ما تصلح المكونات الوجاهية لتمثيله. لكن ليس من الواضح أي الوجاهات يقصد. في فقرة من الفقرات المستشهد بها أعلاه، يتحدث عن الترابط بين اللغة والأنساق المعرفية، ومن ثمة، في خطوة أخرى، بين اللغة وحاسوبه؛ وفي فقرة أخرى، يتحدث عن العلاقة بين «اللغة (أو التصورات)» و «العالم الخارجي والداخلي». فهل يفترض أن تكون الدلالة ترابطا بين اللغة والتصورات، أم بين التصورات وشيء آخر؟ ولا نجد مكانا يعالج فيه ما نعتبره المسألة المركزية، أي التنظيم الصوري للنسق التصوري. إنه، مع ذلك، على صواب في إحساسه بشك عميق تجاه المفهوم اللاذهني الاعتيادي «للشيء»، وهو موضوع سنعود إليه مطولا في الفصل الموالي.

لقد أنفق جيري فودور (1975؛ 1983؛ 1990؛ 1998) قدرا كبيرا من عمله في معالجة بعض المشاكل التي تواجه نظرية جادة للمعنى. وتشترك مقاربته مع الدلالة التصورية في الإلحاح على أهمية وضع هذه النظرية في إطار ذهني. ويستدل على أن المعاني يجب أن يمثل لها في نسق تأليفي، ومن ثمة فرصد المعنى عن طريق شبكة دلالية بسيطة ليس ممكنا. وهو أيضا معني تماما بقضايا اكتساب التصورات. وسنعود في ما بعد لاقتراحاته بصدد البنية التأليفية للتصورات وطبيعة الاكتساب. وأريد الآن أن أركز فقط على المصطلح الذي اختاره فودور لنسقه التأليفي: أي لغة الذهن.

إن «للغة»، مثل «التركيب»، عددا من المعاني. وأولها المعنى الدارج اليومي: الأنجليزية، الفرنسية، الصينية، وهكذا. واللغات بهذا المعنى أنساق مكونة من صواتة وتركيب ودلالة، إضافة إلى العلاقات في ما بينها التي تقيمها الوجاهات (بما في ذلك المعجم). ومن الواضح أن فودور لا يقصد هذا المعنى حين يتحدث عن لغة الذهن: فلغة الذهن لا تملك صواتة ولا تركيبا (ضيقا). ومع ذلك، فالمصطلح يؤول أحيانا بهذا المعنى، مثال ذلك أننا نصادف مرات أقوالا تفيد أن «لغة الذهن مثل لغة طبيعية» (بارندن Barnden 1996). وهذا بعيد عن الصواب؛ وهو شبيه بقولنا، «العجلة مثل الدراجة». ومثل هذا، فإن لغة الذهن تعتبر أحيانا مكونة من «جمل لغة داخلية/خاصة». لكن للجملة صواتة وتركيبا(ضيقا)؛ وليس للفكر ذلك. ويصدق نفس الشيء في حالة مصطلح «قضية»: فإذا كان من المفترض أن تكون بمعنى الفكر المعبر عنه في جملة (مما يجعل بالإمكان التعبير عن نفس القضية في لغات مختلفة)، فلا يمكن أن نتصورها مثل الجملة. إن الجمل التي نستعمل للتعبير عن قضايا تملك صواتة وتركيبا (ضيقا)؛ والقضايا في حد ذاتها لا تملك ذلك. إن جزءا من عملنا هنا (السؤالان (5) و (6) في الفقرة السابقة) أن نرسم الصورة المناسبة للقضايا ونبين كيف يعبر عنها التركيب والصواتة في لغات مختلفة.

ويأتي المعنى الثاني «للغة» من دراسة اللغات الصورية: اللغة مجموعة من العبارات و/أو المبادئ التي تولدها. مثال ذلك، أنه يمكننا أن نعتبر السلاسل في (8 أ) عبارات في لغة صورية تولدها

المبادئ في (8 ب):

(8) أ. أ ب، أ أ ب ب، أ أ أ أ ب ب ب ب، ...

ب. ج ⟵ أ ج ب

ج ⟵ أ ب

إن معنى «اللغة» هذا يشمل المعنى الواسع «للتركيب» كما يستعمله شومسكي، لكنه ليس محصورا في التنظيمات الصورية في الذهن: فالمنطق الصوري بهذا المعنى لغة، وكذلك لغات البرمجة، بل من الممكن أن يكون الأسلوب الفني لرامبرانت كذلك أيضا. وهذا المعنى يلائم مفهوم الفكر باعتباره نسقا تأليفيا في الرسم 1.9 لكنه ليس ما يقصده فودور.

بل هناك معنى ثالث «للغة» تحيل فيه على مجموعة من العبارات في لغة صورية إضافة إلى مجموعة من المبادئ المسقطة التي «تؤول» هذه العبارات داخل مجال معين. مثال ذلك أن متواليات الألفات والباءات في (8 أ) يمكنها أن تؤول باعتبارها صفوفا من أنواع مختلفة من القطع النقدية، أو متواليات من مختلف أنواع الأصوات، أو انتظامات نونية من العناصر المختارة من مجموعات مختلفة. بهذا المعنى «للغة»، غالبا ما يسمى التنظيم الصوري للعبارات «تركيب» (العبارات) ويسمى إسقاطها في المجال الآخر «دلالتها». وهذا هو المعنى الذي يقصده فودور متفقا في ذلك مع تفسير شومسكي «للدلالة» أعلاه. ويقصد فودور أن للغة الفكر تركيبا (بالمعنى الواسع) و دلالة. والعبارات في لغة الفكر تمثيلات ذهنية؛ وهي تمثل شيئا: الكيانات في العالم. وبتعبير آخر، يلح فودور على أن لغة الفكر قصدية: إنها تتعلق بشيء ما.

يوافق فودور على أن هذا التصور إشكالي جدا: فقبل كل شيء كيف للعبارات في الرأس أن تربط الاتصال بالأشياء التي يفترض أنها تتعلق بها؟ يطمح فودور (1991)، مثلا، إلى تطوير دلالة «طبيعية»، أي إلى أن «نقول بمصطلحات لا دلالية ولا قصدية... ما الذي يجعل شيئا ما رمزا». وباختصار، فهو يحاول عن صواب أن يحيا بالمسلمة «ليس في الأمر سحر». فاقتراحه هو أن الاستعمالات الحقيقية لرمز مثل : خُلد (platypus) تسببها بكيفية ما الخلدان الواقعية (كيف؟ هل بالتأثير في النسق الإدراكي للمتكلم؟ لا يقول فودور شيئا). ومن ثمة يواجه المشكل: ما الذي يسوغ (أ) الاستعمالات الخاطئة لخلد في جواب البقر مثلا، و (ب) الاستعمالات «التمثيلية» للخلدان حين يكتفي المتكلم بتخيل الخلد أو بالتفكير في الخلدان عموما. ويستنتج بصفة مؤقتة أن هذه الحالات «تابعة بكيفية لا تناظرية» للحالات الحقيقية، بطريقة تبقى بدون تفسير.[6]

لنلاحظ قدر الصرامة الذي يختلف به تصور فودور عما ندافع عنه هنا. هنا نعتبر أن اللغة الطبيعية تملك بنية صواتية، وتركيبية، ودلالية/تصورية. البنية الدلالية/التصورية لا تملك دلالة؛ إنها

6. من الواضح أن فودور تضايقه هذه الثغرات، كما تدل على ذلك إشارات جانبية مثل «ما لا شك فيه أنه من الخطأ أن أكون ميالا إلى التفكير في هذا»، وفي الهامش الأخير، «في العمق، أظن أني أعتقد شيئا من هذا. لكن مسألة وضع الأشياء في نصابها صعبة جدا بالنسبة لي».

دلالة اللغة. والخطوة الأولى في إبراز هذا التصور، أن أقترح مرة أخرى عملية جراحية جذرية بخصوص المصطلحات التي دافعت عنها في الفصل الثاني. إن مشكل فودور ينبع من معاملته البنيات التأليفية التي تكون المعاني/الأفكار باعتبارها رموزا لشيء ما، تمثيلات لشيء ما، معلومات عن شيء ما. وعوض ذلك، سأحاول أن أعتبرها فقط بنية لا قصدية خالصة، كما فعلت ذلك (بصورة أرجو ألا تدعو للاختلاف) مع الصواتة والتركيب. وسيكون المشكل إذن إعادة بناء الحدوس التي يفترض أن يرصدها مفهوم القصدية. وسيشكل هذا جزءا من موضوع الفصل القادم.

إن مقاربتي يمكن أن ينظر إليها، بكيفية معينة، بمثابة حصر للرهانات. إني أتمنى أن نتمكن بالفعل من الوصول إلى تصور طبيعي للمعنى دون استحضار القصدية. ومن جهة أخرى يمكن لفودور أن يكون على صواب: يمكن للبنية التصورية أن تحتاج فعلا إلى أن تكون قصدية بمعنى معين. مهما كان الحال، يبقى علينا أن نبني تفاصيل النسق التأليفي الذي يكون البنية الدلالية/التصورية/لغة الفكر، ووجاهاتها المتصلة باللغة والاستنتاج والإدراك والعمل-وهو ما أعتبره مهمة الدلالة التصورية. وهناك، كما سنرى، كثير من التفاصيل تستحق البناء. وليس هناك داع لأن نقف مشلولين بسبب غياب حل لمسألة القصدية، كما يبدو حال فودور.

5. بعض مقاربات المعنى «السياقية»

تبحث مقاربات متنوعة للمعنى عن معالجته باعتباره شيئا آخر غير ظاهرة ذهنية، باعتباره جزءا من «المحيط». وربما كانت المقاربة الأكثر تطرفا هي السلوكية، التي تكاد تكون قد انطفأت الآن، والتي اعتبرت (انظر واتسون Watson 1913) أن التفكير ليس شيئا سوى كلام تحت الصوت، وأن فكرة وجود «تصور» خلف اللغة لا معنى لها. لكن السلوكية لم تحاول أبدا أن تفسر أكثر من الوقائع اللغوية الأكثر بساطة، وبطريقة مشكوك فيها (شومسكي 1959).

هناك حجة من نوع مختلف تنبثق من فرز معين للفلسفة اللغوية، باللجوء غالبا إلى فتجنشتاين (1953). ومفاد هذا التصور أنه لا وجود لمعنى ثابت مرتبط بالتعابير اللغوية؛ بل إن أفضل ما يمكننا فعله أن نقوم بجرد للاستعمالات السياقية للتعابير. إن في هذا بذرة من التبصر تكمن في أن الإرسالية التي تنقلها العبارة تتأثر بقوة فعلا بفهمنا للسياق (سبربر وويلسن Sperber and Wilson 1986؛ بوستيوفسكي Pustejovsky 1995). ولكن العبارة، من جهة أخرى، يجب أن تنقل شيئا يمكن أن يتفاعل معه السياق. وإذا لم تفعل، أمكن للسامع مبدئيا أن يعرف من السياق الإرسالية المقصودة، بدون أن يقول المتكلم شيئا على الإطلاق! ومن المهم تحديد نوعية المساهمة في الفهم التي تقوم بها كل من العبارات اللغوية والسياق؛ وهذا لا يمكن فعله بالتركيز على السياق وحده.

هناك تصور آخر، في اتجاه مماثل، يركز على التفاعل بين المتكلم والسامع: المعنى ليس شيئا مرتبطا بأي منهما لوحده، لكنه شيء «متفاوض» بشأنه في إطار التفاعل بينهما؛ إنه «بناء اجتماعي». ويدافع عن هذا التصور، مثلا، دوفا ولتينماكي Dufva and Lähteenmäki (1996) مستلهمين التقليد «الحواري» لدى باختين Bakhtin. وتظهر صيغة أقل تطرفا من هذا التصور في كتاب

استعمال اللغة لهربرت كلارك (1996) Herbert Clark، الذي يقدم تحليلا مفصلا للكيفية التي يتعاون بها المتكلم والسامع للتحقق من أن إرسالية المتكلم تمت صياغتها واستقبالها بطريقة ملائمة. ليس لدي اعتراض على الفكرة القائلة إن التواصل باللغة مشروع تعاوني ملتزم اجتماعيا. وأختلف فقط مع القول إن هذا كل شيء. يبدو أن دوفا ولتيناماكي يقولان إنه في نهاية تفاعل لغوي معين لا يكون هناك سوى «معنى» غير متجسد، في الفضاء عبر الأشخاص. وفي مقابل هذا، أظن —وأظن أن كلارك يوافقني- أن هناك شيئا في رأس السامع لم يكن فيه من قبل؛ وربما ينتج عن التفاوض شيء مختلف في رأس المتكلم أيضا. وهذه الأشياء في رأسي المتكلم والسامع هي بؤرة اهتمامي. وبذلك فالسؤال الذي أطرحه هو:

(9) ماذا يوجد في أذهان الناس الوظيفية حين يفهمون المعنى؟

والنظر إلى تعقد الفعل التواصلي إنما يضيف إلى المهمة السؤالين التاليين:

(10) أ. كيف يشكل التفاعل الاجتماعي بين الأفراد المعاني والأفكار التي يحملونها؟

ب. كيف يصل الأفراد المتفاعلون إلى الإحساس بأن لهم أفكارا مشتركة؟

سأعود إلى قضية البناء الاجتماعي في الفقرة 10. 11.

هناك صيغة أخرى لهذه المسألة تبرز في ارتباط بجانب من جوانب بحث هيلاري بوتنم (1975) Hilary Putnam الهام «معنى «المعنى»». يلاحظ بوتنم أن هناك عددا من الكلمات لا نعرف معانيها التامة: مثال ذلك، أنه يعرف أن الدردار (elm) و الزان (beech) يحيلان معا على نوعين من الأشجار، لكنه، هو نفسه، لا يستطيع أن يعين، أمام شجرتين، أيهما دردار وأيهما زان. ويقترح أن هناك «تقسيما لغويا للعمل»، يجعلنا نحن الناس العاديين نختلف عن الخبراء الذين يملكون المعنى التام. وينطبق هذا الوصف بصورة جيدة أيضا على وضع متعلم اللغة، الذي يحاول استعمال مؤشرات «الخبراء»، أي المتكلمين بطلاقة، لرسم ما تعنيه الكلمات. وينطلق بوتنم من هذا لتبيان أن المعنى ليس في رؤوس المتكلمين بقدر ما هو بكيفية معينة «في المجموعة». ولكن مرة أخرى، حتى يختلف المتكلمون في قدرتهم على تطبيق كلمة معينة، يجب أن يكون لكل منهم تصور معين، دقيق أو مبهم، مرتبط بالكلمة المقصودة. ومن ثمة تختزل المسألة مرة أخرى في السؤال (9)، إضافة إلى السؤال (10 أ)، وإلى السؤالين التاليين:

(11) أ. كيف يتعرف الأفراد المتفاعلون أن لهم أفكارا مختلفة؟

ب. في ظل أي شروط يختار الفرد الإذعان لأفكار فرد آخر؟

من الحالات التي لا يختار فيها الفرد الاحتكام إلى فرد آخر حالة «خبراء» متبارزين متحاجين حول كيفية فهم مصطلح «دلالة» (حتى نأخذ مثالا بطريقة اعتباطية). هنا لا يوجد معنى محدد «في المجموعة»، وكل «خبير» يصارع لفرض الاختيار الخاص به أو بها.

إن هذه الطريقة في طرح مسائل البناء الاجتماعي / الثقافي للمعنى لا تغير الحدوس والحجج الكامنة خلفها. وما تفعله أنها تبين كيف ينسجم هذا المشروع مع الدلالة التصورية.

6. هل هناك دلالة لغوية خاصة؟

نخصص بقية هذا الفصل لدافع مختلف بعض الشيء إلى تقييد حيز الدلالة، هذه المرة داخل النظرية اللسانية. والفكرة أنه من الممكن أن نعين حدود جزء لغوي خاص من الدلالة، جزء متميز من المعرفة غير اللغوية والفكر والمعنى المبني في السياق. وقد اقترح هذا التمييز تبعا لاتجاهات متنوعة لا تقصي بعضها البعض:

(12) أ. من الضروري تمييز المعنى «القاموسي» للوحدات المعجمية من معناها «الموسوعي»، ويتضمن هذا الأخير على الأقل كل التداعيات الشخصية المتعلقة بالكلمات. ويفترض أن يكون المعنى الأول وحده داخلا في حيز الدلالة اللغوية.

ب. بعض الخصائص الدلالية مثل التحليلية، والاستلزام المنطقي، وشروط الصدق تنتمي إلى الدلالة اللغوية، بينما تنتمي خصائص أخرى، مثل الاستكشاف والمنطق بالخلف، والارتباط بالعالم الواقعي، إلى مشروع معين آخر، ربما يكون الذريعيات.

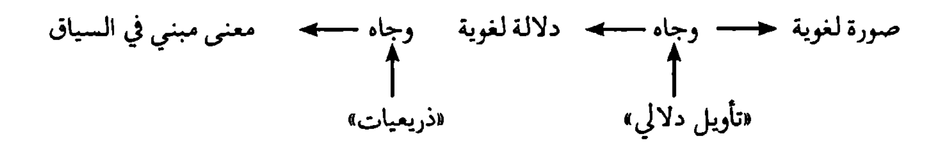
ج. الخصائص الدلالية، مثل البنية الحملية، والبنية الجهية، والقوة الإنجازية، وتمييز الكتلة من المعدود والمفرد من الجمع، تملك ردود أفعال نحوية؛ وتنتمي هذه الخصائص إلى الدلالة اللغوية. وبعض الخصائص الأخرى، مثل اللون، والحجم العروضي، والأنواع (إضافة إلى إنسان/غير إنسان)، لا تملك ردود الأفعال تلك، وتنتمي إلى المعرفة العامة.

د. تختلف اللغات في دلالتها، بسبب ما تبنيه في نحوها من تمييزات دلالية، وبسبب بنياتها الخاصة بالمعجمة. ومن ثمة يجب أن تملك كل لغة دلالتها اللغوية الخاصة، التي يمكن أن تكون أو لا تكون منفصلة عن بنيات المعرفة والاعتقاد العامة المتعلقة بمستعمل اللغة.

بينما تقوم هذه التمييزات المقترحة على حدوس قوية، فإني أظن أنها ليست في نهاية المطاف قابلة للحياة؛ ويجب أن نعتبر مجال الدلالة اللغوية متصلا بمجال بناء التصورات بكامله لدى الإنسان. وحتى نرى لماذا، لنبدأ أولا برؤية كيف ينسجم اقتراح فصل الدلالة اللغوية عن المعنى المبني في السياق داخل الرسم 1.9، ومناقشة بعض المسائل العامة. وبالمقابل ستتفحص الفقرة القادمة الاقتراحات المتضمنة في (12 أ – د).[7]

هناك طريقتان لإقامة الفصل. الأولى أن نقترح أن هناك صورة للبنية المعرفية متميزة من الصورة اللغوية (الصواتة والتركيب) والمعنى المبني في السياق على حد سواء، تكمن بينهما وترتبط بكل منهما عن طريق وجاه، كما في الرسم 2.9.

7. يقدم ليفنسن (2000) عددا من الدلائل الموازية ضد فصل الدلالة اللغوية عن المعنى المبني في السياق.



رسم 2.9 «الدلالة اللغوية» باعتبارها مستوى بنيويا منفصلا.

وهذا يقتضي أن الدلالة اللغوية مكونة من أنواع مختلفة من الوحدات إضافة إلى المعنى المبني في السياق —وهي عبارة عن مستويات بنيوية مختلفة بنفس المعنى الذي يصدق على الصواتة والتركيب. وبالفعل، فإن هذا يقسم الوجاه بين الصورة اللغوية والمعنى في الرسم 1.9 إلى مرحلتين: «الدلالة أولا والذريعيات بعد ذلك». ومثل هذا الموقف، كما أفهمه، نجده في كاتز (1972)، وفي شومسكي (1975) وسبربر وولسن (1986)، مثلا.[8]

وفي تصور بديل، يمكن أن تكون الدلالة اللغوية صيغة «مفككة» للمعنى المبني في السياق، متضمنة فقط مجموعة فرعية من وحداته و/أو تمييزاته (ربما بموازاة العلاقة بين بنيات الصوت التي ترمزها الصواتة المعجمية والأصوات تباعا). ويمكننا أن نرسم هذا التنظيم كما في 3.9.

إن هذا يبقي على التأويل الدلالي منفصلا عن إدماجه مع العناصر اللالغوية للمعنى («الذريعيات»). والاختلاف الوحيد أنه يمكننا أن نرى العملية الأخيرة باعتبارها إغناء للمعنى اللغوي عوض أن تكون إسقاطا في صورة بنيوية منفصلة.

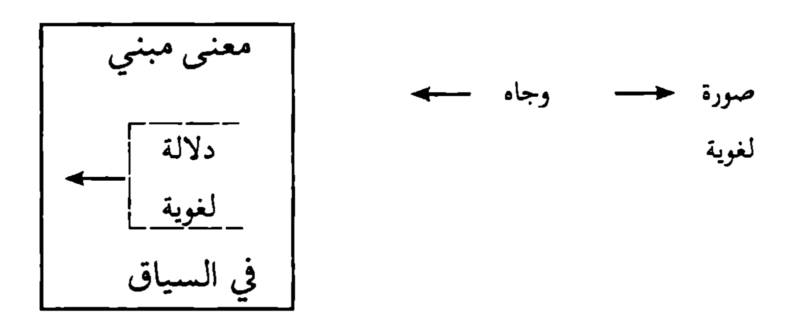
ما الذي يمكن أن يكمن خلف الرغبة في فصل الدلالة عن بناء التصورات؟ أشك أن من الحوافز خوفا متوجسا من أن المعارف والمعتقدات ذات الموضوعات العامة بئر بدون قاع، وأنه، لجعل مشروع الدلالة قابلا للتحقيق يجب تقييده بكيفية معينة. ومن ثمة يجب إقامة تمييز معين حتى يمكننا أن نقف قبل الغرق في تفاصيل بلا نهاية.

وموقفي الشخصي أن خطوط الذهن يجب أن تحدد تجريبيا، لا على أساس مخاوفنا. قبليا، كان يمكن للأمر أن يكون أكثر دلالة بأن لا يكون هناك أي مستوى خاص للدلالة اللغوية: كان هذا سيتطلب فقط قسطا إضافيا من العمل يقوم به التطور زيادة على تطوير الصواتة والتركيب.

إضافة إلى هذا، هناك مسألة منهجية: لا يمكننا أن نقول إن هناك خطا دون تحديد ما يقع على طرفيه. إن البحث في الدلالة اللغوية، إذن، دون البحث أيضا في المعنى المبني في السياق، لا يمكن بأي حال أن يفيدنا في ما إذا كان التمييز الذي نفترضه صائبا.[9]

8. لشومسكي (1975: 105) خطاطة تكاد تطابق الرسم 2.9. ويسمي الدلالة اللغوية «صورة منطقية»، ويعتبر الوجاه الأيمن (قواعد دلالية 1 عنده) جزء من نحو الجملة. ويخصص الوجاه الأيسر (قواعد دلالية 2 عنده) باعتباره «قواعددلالية أخرى». ويذهب السهم عنده طبعا من اليمين إلى اليسار فقط، لأن نحوه قائم على المركزية التركيبية.

9. وإذا أحجم اللسانيون عن دراسة المعارف والمعتقدات ذات الموضوعات العامة، من يفترض فيه أن يدرسها؟ لا علم من العلوم المعرفية الأخرى يملك أدوات أفضل للقيام بالعمل بتفاصيله التأليفية الكاملة.



رسم 3.9 «الدلالة اللغوية» باعتبارها مجموعة فرعية داخل المعنى المبني في السياق.

لقد كان من الدوافع الأكثر قيمة لمحاولة فصل الدلالة عن بناء التصورات رغبة فريجه (1892) المشروعة إلى حد ما في إقصاء «التداعيات الشخصية» من الدلالة. أقام فريجه التمييز البالغ الأهمية بين إحالة العبارة – ماتحيل عليه- ومعناها- الكيفية أو الطريقة التي تحيل بها. لكنه يعتني أيضا بتمييز المعنى من الفكرة في ذهن مستعمل اللغة، التي يجدها بسبب طابعها الذاتي الشديد وغير القار غير مناسبة لما يسعى إليه. لذلك يعتبر المعنى خاصية موضوعية مجردة مرتبطة وضعا بعبارة لغوية. يمكن لهذه المقاربة، إذن، أن تتعالى عن التداعيات الشخصية- مثل طريقة التحبب التي يلقى بها الكلب الضيوف، والتي لا يحتمل أن تكون جزءا من معنى كلمة كلب كما تستعمل في التواصل بين الأشخاص.

لكن من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، رسم خط على أساس مبدئي بين معنى الكلمة «العام» وتداعياته الشخصية. ومن ثمة، فالرغبة في رسم مثل هذا الخط ليست دافعا مبررا لفصل المعنى اللغوي عن المعنى المبني في السياق. وفي ما يلي بيان لماذا.

لنفترض أن لشخصين نفس التداعيات الشخصية في ما يخص بعض الكلمات، ربما لأنهما نشأ معا. هذا يسمح لهما باستعمال هذه الكلمات بينهما، وللتداعيات الشخصية معنى «عام»، ولو بالنسبة لجمهور جد محدود. ولكن طالما أن باقي العالم معني، فإن هناك بالضبط «تداعيات شخصية» لا يمكن تحصيلها من سماع الكلمات المعنية.

ويقع نفس الشيء في حيز أوسع عندما ننظر في الاستعمالات الخاصة لكلمات لدى مجموعات فرعية فنية معينة. عندما أستعمل مصطلح لغة في مخاطبة لساني، يمكنني أن أستحضر تداعيات تصدر عن التجربة المشتركة بين مجموعة اللسانيين. وعندما أستعمل الكلمة في مخاطبة طبيب الأسنان، رغم ذلك، لا أستطيع افتراض هذه التداعيات ويجب وضعها جانبا لتمرير إرساليتي. لكن ليس لأن لي كلمتين للغة في معجمي، واحدة للسانيين وواحدة لأطباء الأسنان. وعلاوة على هذا، فإن هناك طيفا من المجموعات الوسيطة، من علماء النفس إلى الفلاسفة إلى علماء الأعصاب إلى الأحيائيين، فتكون بعض «التداعياتي الشخصية» ملائمة لهؤلاء وبعضها غير ملائم؛ فالتواصل الناجح تابع للقياس الدقيق لأي التداعيات يجب افتراضها. فهل أملك إذن عددا من الكلمات للغة

في معجمي؟ سأقول عوض ذلك إنني أملك حدوسا عن أي المظاهر من معنى الكلمة بالنسبة لي تكون ملائمة لسامعي. وعندما لا أعرف من هو جمهور المستمعين (غير كونهم يتكلمون الأنجليزية)، سيكون علي أن أفترض بصورة ملائمة المعنى «المحايد» أو «الأدنى» الذي يمكن أن يكون قد قصده فريجه باعتباره المعنى «العام».

من ثمة فأنا أدافع عن أن إقصاء «التداعيات الشخصية» من المعنى «العام» ليس نتيجة فصل من نوع قوي بين نمطين من المعلومات. بل هو نتيجة نوع من أنواع مبادئ كرايس Grice الحوارية: ينتج الشخص أقوالا بكيفية تمكنه من أن ينتظر من السامع إعادة بناء الإرسالية المقصودة. وتجنب الالتباس هو فقط حالة فرعية أخرى لنفس المبدأ، كما هو حال التكلم بلغة تظن أن السامع يفهمها. ولدي إحساس بأن الأطفال الصغار لا يجيدون تطبيق هذا المبدأ، لكنهم يكتسبون القدرة على ذلك مع اكتمال نضجهم. (رغم أن بعض الناس يبدو أنهم لا يتعلمونه أبدا بكيفية جيدة). نتيجة لهذا، لا أرى أي حاجة لإقامة تمييز نظري قوي على غرار صنيع فريجه في تمييز المعنى «العام» من المعنى «الخاص». وفي الفقرة الموالية، مع النظر بالمقابل في الاقتراحات (12 أ-د) لفصل الدلالة عن بناء التصورات، سنرى في جميع الأحوال أن لا اقتراح منها يصل إلى التمييز المرغوب فيه.

7. أربع طرق خاطئة لفصل الدلالة اللغوية عن بناء التصورات

1.7 دلالة = «قاموس»؛ ذريعيات = «موسوعة»

الفكرة الكامنة خلف هذا التمييز، في الاقتراح (12 أ)، أن بعض مظاهر الكلمة ليست جزءا من معناها، ولكنها «معرفة للعالم» تتعلق بالكيان الذي تسميه الكلمة. مثال ذلك، حسب هذا التصور، أن كون **الكلب** حيوانا يعتبر جزءا من «مدخله القاموسي»، لكن كون **الكلاب**، حسب زعم معين، تحب اصطياد القطط يعتبر «معلومات موسوعية» لا تلعب أي دور في السلوك اللغوي للوحدة، بل فقط في ذريعياتها.

لنلاحظ فورا أن هذا التمييز لا يوافق التمييز: «عام»/»خاص».فكون كلبي يحب اصطياد سعاة البريد يمكن أن يكون من التداعيات الشخصية المقرونة بكلمة كلب، ومن ثمة يرتبط بكيفية معينة بكلب في ذهني الوظيفي. لكن الزعم بأن الكلاب تحب اصطياد القطط جزء من المعرفة المشتركة وتمكن الإشارة إليه في حوار معين دون إشكال. وبذلك فإن كمية كبيرة من المعنى «العام» معلومات «ذريعية» وهي بذلك (حسب هذا التصور) تقصى من الدلالة اللغوية.

إن هذه المقاربة تكتسب معنى أكثر باعتبارها صيغة للرسم 3.9، حيث المعلومات القاموسية مجموعة فرعية من المعلومات الذريعية، لكنها ليست متميزة منها بوضوح. مثال ذلك، أنه حتى إذا اعتبرنا أن كون الكلاب، بحكم خصائصها، تصطاد القطط معلومةً ذريعية، يبقى أن مفهوم الاصطياد يجب أن يكون جزءا من المدخل القاموسي للفعل **اصطاد**. وبصفة أعم، فإن جزءا من محتوى المعلومات الذريعية لوحدة معينة يمكن جدا أن يكون معلومة قاموسية لوحدة أخرى.

إن المشكل أنه من الصعب، وربما من المستحيل، رسم خط فاصل بين ما هو في القاموس وما

هو في الموسوعة بالنسبة لأي وحدة معينة (بولنجر Bolinger 1965؛ جاكندوف 1983؛ ليكوف 1987؛ لنكيكر Langacker 1987). فالفرق، مثلا، بين **قتل** و**اغتال** أن الفعل الأخير يستلزم دافعا سياسيا لدى المنفذ. فهل هذه معلومة قاموسية أم ذريعية؟ إذا كانت قاموسية فإن شيئا بدرجة تعقيد الدافع السياسي يمكنه أن يكون في القاموس، فنكون قد بسطنا بصعوبة سجل «الدلالة القاموسية». وإذا كانت المعلومة ذريعية فليس هناك تمييز بين التعريفين القاموسيين لهاتين الكلمتين. لكن هذه النتيجة الأخيرة مستحيلة: فالدلالة اللغوية، إذا كان عليها تفسير الاقتران بين الصورة والمعنى، يجب أن تكون قادرة على التمييز بين معنيي هاتين الكلمتين.

يقترح جيرولد كاتز Jerrold Katz (1980) أن القاموس يتضمن فقط العوامل التي تؤدي إلى أحكام دقيقة (أو تحليلية)، وأن أي نوع من العوامل المتدرجة (أو القابلة للإبطال) ينتمي إلى الموسوعة. وهذا أيضا غير مرض، ما دام يعتبر أن التمييزات اللونية، التي من المعروف جيدا أنها متدرجة، تسقط في الموسوعة. والنتيجة، تبعا لهذا التحليل، أن: **الأشياء الخضراء غير ملونة**، جملة شاذة على أساس المعلومة القاموسية (ما دام الأخضر تحليليا لونا)، لكن: **الأشياء الخضراء زرقاء**، جملة شاذة على أساس المعلومة الموسوعية. وهذا، في تقديري، نتيجة للنظرية فيها ما يكفي من الغرابة. ونقول مرة أخرى، ما دامت **أخضر** و**أزرق** غير مترادفتين، فإن النظرية التي تحيل اختلافهما الدلالي إلى المعنى «الموسوعي»، ومن ثمة «غير اللغوي»، لا يمكن أن تكون نظرية مرضية للدلالة اللغوية.

في ما يلي حالة أكثر تعقيدا مستقاة من عمل جيمس بوستيوفسكي (1995). (انظر الفقرة 9.11). كيف يرمز الذهن الوظيفي ما نفعله بصفة نمطية بالأشياء، كأن نقرأ بصفة نمطية الكتب، ونطبخ في الفرن، ونخزن الأشياء في المخازن؟ وبما أن هذه الأعمال نمطية، فإنها بدون شك لا تدخل في مفهوم القاموس عند كاتز. إن إحساسي هو أن أغلب الناس الذين يقترحون التمييز بين القاموس والموسوعة سيعتبرون الأعمال المذكورة بداية «الغرق في التعقيد»، ومن ثمة في الموسوعة.

لنفكر الآن في أفعال مثل **أنهى** و**استمتع**، التي تفهم باعتبارها أنشطة. عندما تكون فضلات هذه الأفعال موضوعات فيزيائية، كما في **أنهى الكتاب/استمتع بالكتاب، أنهى النبيذ/ استمتع بالنبيذ**، فإننا نؤولها طوعا من خلال الأعمال النمطية التي نمارسها على هذه الموضوعات: فنحن ننهي أو نستمتع بقراءة الكتاب، لكننا ننهي أو نستمتع بشرب النبيذ. بحكم الافتراض، إذن، يتطلب الفهم التام لمثل الجمل المذكورة معلومات موسوعية عن الموضوعات المعنية.[10] هذا التأويل يمكن أن تلغيه الظروف، إذا لم يتمكن المنفذ، مثلا، من إنجاز النشاط النمطي. لذلك لا يمكن للجملة: **أنهى الجدي الكتاب**، إلا أن تؤول على أكل الجدي الكتاب أو ما شابه ذلك-إلا إذا كان جديا متكلما في حكاية خرافية يمكنه إنجاز النشاط. إن مثل هذه التبعيات الخطابية الدقيقة هو ما يدفع الناس إلى إرادة إبعاد معلومات مثل «النشاط النمطي» إلى الذريعيات.

---

10. تتطلب **أنهى**، خلافا لاستمتع، أن يكون لهذا النشاط النمطي بنية ذات مراحل، لذلك فإن استمتع بالفرن جيدة، لكن **أنهى الفرن** سيئة بدون سند معين، كأن نفهم أننا بصدد تنظيف المطبخ.

لننظر، مع ذلك، في مثال للشذوذ الدلالي يستلزم هذه التأويلات: **أنهى بيل الكتاب، وكذلك فعل الجدي**. وتأتي المزحة من كون الجملتين تؤولان عادة على نشاطين مختلفين. ولهذا التنافر، رغم ذلك، نفس الطعم الذي للشذوذ الناتج عن استعمال غير مناسب لوحدة متعددة الدلالة، كما في: **طبخ الرئيس المساء كله، وكذلك فَعَل اللحمُ المحمر**. والآن، إذا كانت الحالة الأولى ناتجة عن تعارض ذريعي في المعلومات الموسوعية، والثانية عن تعارض دلالي في المعلومات القاموسية، فإن تعميما واضحا قد تم تضييعه.

إن النموذج الناتج عن هذه الأمثلة – **قتل، أخضر، أنهى**- يجب أن يكون واضحا. بالنسبة لأي تمييز يمكنكم اقتراحه بين القاموس والموسوعة، يمكن أن أجد واقعة دلالية تمثل نموذجا للشذوذ يخترقهما. وكانت هذه أساسا حجة بولنجر (1965) ضد طريقة كاتز وفودور (1963) في إقامة التمييز، وهي صالحة بالضبط كذلك ضد أي اقتراح آخر من نفس النوع. هكذا تخفق هذه الكيفية في تجنب التعقيد الكامل للمعنى المبني في السياق.[11]

2.7. الخصائص الدلالية المنطقية مقابل غير المنطقية

إن الفكرة الكامنة خلف الاقتراح (12 ب) هي أن الدلالة اللغوية معنية فقط بالخصائص التي تؤدي إلى الاستلزامات المنطقية والتي تقتضيها خاصية التحليلية؛ وكل الخصائص الدلالية غير المنطقية تنتمي إلى الذريعيات. ومقاربة كاتز صيغة من هذا الافتراض؛ وتظهر صيغة أخرى في الأدبيات النفسية المتعلقة بالذاكرة الدلالية (انظر سميث وميدين (Smith and Medin (1981)؛ وهناك صيغة أخرى يبدو أن ليفنسن (2000) يدافع عنها. والفكرة أن بعض أجزاء معنى الكلمة قيود ضرورية («القاموس»)، وأجزاء أخرى، أقل مركزية، يمكن أن تكون لها استثناءات. ويتلاءم هذا الاقتراح سواء مع الرسم 2.9، حيث ترمز الخصائص المنطقية بطريقة وترمز الخصائص غير المنطقية بطريقة أخرى، أو مع الرسم 3.9، حيث الخصائص المنطقية مجموعة فرعية داخل كل الخصائص الدلالية.

إن هذا الاقتراح، مثل سابقه، يقصي الكثير من عناصر المعنى «العام» من حقل الدلالة اللغوية. إن أقوالنا تنقل جزءا كبيرا من المحتوى التواصلي الخارج عن الاستلزامات المنطقية أو القيود

11. هناك نقطة أخرى يمكن توضيحها بمعنى الكلمة أزال. في مستوى أولي يمكن تسميته معنى «قاموسيا» تعني أزال س من ص، تقريبا «جعل س لم يعد على/في ص». ولننظر الآن في المشكل الذي واجه مجموعة بوني فيبر Bonnie Webber للبحث في جامعة بنسيلفانيا. إنهم كانوا يحاولون برمجة رجل آلي افتراضي (رجل آلي على شاشة الفيديو) لإجابة أوامر بلغة طبيعية. كان عليه أن يعرف ما يفعله حين يقال له أن يزيل شيئا. لكن إزالة الورق الحائطي من الحائط يتطلب عملا مختلفا عن إزالة غطاء من حُق، وعن إزالة حق من الثلاجة. أين يجب تصنيف هذه المعرفة؟ هل باعتبارها جزءا من المعنى «الموسوعي» لأزال، أم جزءا من المعنى «الموسوعي» لورق الحائط، الخ...، أم باعتبارها «معرفة عامة للعالم»، أم ماذا؟ يجب أن أقول إني لا أعرف، وأترك المسألة هنا. وفي كل الأحوال يجب أن تظهر هذه المعرفة باعتبارها جزءا من المعنى المبني في السياق للمركب الفعلي المعني. إن هذا المشكل يعاود الظهور بكثرة في رصد معاني المركبات، ولا يمكن إزاحته بكيفية سطحية عند النظر في التفكير العملي.

الضرورية —ونحن نعتمد عليها في ذلك. ومن ثمة، فإن هذا الاقتراح لن يؤول بكونه يرضي اعتراض فريجه على الدلالة الذهنية.

يخضع هذا الاقتراح للحجج المضادة المذكورة في الفقرة الفرعية السابقة، إضافة إلى ثلاث أخريات. الأولى هي السبب الذي ذكره فتجنشتاين (1953): كثير من الكلمات لا تملك تمييزات بدون استثناءات تجعلها تختلف بكيفية دالة عن الكلمات الأخرى. ومثال فتجنشتاين المشهور هو اللعب، الذي لا نجد له سوى القيد الضروري المتمثل في كونه نشاطا (قصديا). (يبلور ليكوف 1987 خاصة هذه الحجة بكثير من التفصيل). ومن ثمة ليس له «تعريف قاموسي» بهذا المعنى. (هناك أمثلة أكثر في الفقرة 2.6.11).

والحجة الثانية أن قيدا معينا يمكن أن ينتج عن استلزام منطقي في كلمة معينة ولكن فقط عن زعم قابل للإبطال (أي«ذريعي») في كلمة أخرى. مثال ذلك أن **طلع** و **تسلق** تحملان معا محتوى يتعلق بحركة في اتجاه صاعد. لكن **تسلق المنحدر** تملك معنى سليما بينما **طلع المنحدر** جملة شاذة. فنفس الجزء من المحتوى التصوري يمكنه، إذن، أن ينتمي إما إلى «الذريعيات» وإما إلى «الدلالة» بحسب الكلمة المعنية. وهذا بدون شك استدلال ضد تخطيط مثل الرسم 2.9، حيث يوجد النمطان من القيود في مكونين مختلفين.

هناك سبب ثالث طورناه في الفصلين الخامس والسادس في جاكندوف (1983). فقد استدللت هناك على أنه إذا كانت لنا آلية صورية لإصدار أحكام بصدد جمل مثل (13أ) و(13 ب)، فإن هذه الآلية تكون كافية أيضا للحكم على صدق جمل مثل (13 ج):

(13) أ. ذاك [إشارة] كلب

ب. ذاك [إشارة] حيوان

ج. الكلب حيوان

من المؤكد أن الجملتين الأوليين تستلزمان الذريعيات، من حيث إنهما تتطلبان فحص المجال البصري لتحديد الموضوع المشار إليه، ثم مقارنة هذا الموضوع نفسه بسمات المحمول (انظر الفصل الموالي). ويفترض، طبعا، أن تكون الجملة الأخيرة تحليلية، وصدقها قابل للتحديد على أساس المعنى اللغوي وحده. ومفاد الحجة أنه ليس هناك وضع خاص تحظى به الجمل التحليلية من خلال سمات المعنى التي توحي بها أو الآلية الصورية التي تتطلبها للحكم على صدقها. إنها تفتقد تعميما يجعل معالجتها معالجة خاصة. إنها لا تتطلب موارد مختلفة، بل فقط مجموعة فرعية من الموارد التي يحتاجها الحكم على صدق الجمل في السياق.

والخلاصة أنه لا يمكننا أن نربح سوى القليل من الاقتصاد النظري أو الكفاية التفسيرية عندما نقيم فصلا صارما بين الخصائص المنطقية وغير المنطقية. فالخصائص المنطقية لا تقيم وحدها ما يكفي من التمييزات بين الوحدات المعجمية؛ والسمات الدلالية المستلزمة في الخصائص المنطقية لا تشكل مجموعة منفصلة عن السمات التي تستلزمها الخصائص غير المنطقية؛ وأي نسق يمكنه التعامل مع الخصائص غير المنطقية يمكنه التعامل بسهولة مع الخصائص المنطقية أيضا. فالخصائص المنطقية،

إذن، مجرد مجموعة فرعية متنافرة من الخصائص الدلالية، ولا يبدو هناك داع لاستنباطها «أولا» من الصورة اللغوية ثم إضافة الخصائص الأخرى في «الأخير».[12]

3.7. المحتوى المحقق نحويا مقابل المحتوى غير الوارد نحويا

يبحث الاقتراح (12 ج) عن أن يميز فقط سمات المعنى التي تلعب دورا في التركيب والصرف باعتبارها «دلالة لغوية»، كما هو الحال مثلا في التمييز بين المفرد والجمع دون التمييز بين الأحمر والأخضر. وقد تم اقتراح صيغ متعددة لهذه الفكرة عند بيرفتش Bierwich (بيرفتش ولانج Lang 1989) ، وبنكر (1989) Pinker، وكريمشو (1993) Grimshaw.

من الطبيعي أن اللغات المختلفة تبني نحويا تمييزات دلالية مختلفة. مثال ذلك أن عددا من اللغات الأوروبية تؤسس تمييزات الجنس النحوي جزئيا (لكن جزئيا فقط) على تمييزات الجنس الدلالي، لكن الأنجليزية لا تقيم مثل هذا التمييز النحوي. ومما يماثل ذلك، أن عددا من اللغات تقيم تمييزا متعلقا بالوجه ومؤسسا جزئيا على وضع بيّن (الإشاري مقابل الإرادي)، لكن الأنجليزية لا تفعل ذلك. يمكننا بهذا أن نتصور صيغتين لهذا الاقتراح، واحدة تكون فيها عناصر الدلالة اللغوية خاصة باللغة؛ وواحدة تكون فيها تلك العناصر كلية، لكن ما يحصل هو أن لغات مختلفة تبني نحويا مجموعات فرعية مختلفة للدلالة اللغوية. يدخل الموقف الأول في الاقتراح الذي سنناقشه في الفقرة الفرعية القادمة، لذلك نقتصر هنا على مناقشة الموقف الأخير.

إن الاختلافات حسب هذا الاقتراح، بين أحمر وأخضر، بين كلب وقط بين سبعة وعشرين وثمانية عشر لا تنتج اختلافا نحويا، وبذلك فهي ليست جزءا من الدلالة اللغوية. ومن ثمة، فإن هذه الصيغة للدلالة اللغوية أكثر ضيقا من الصيغتين السابقتين. إنها لا تقدم أي أساس لأي نوع من الاستنتاج، وتتجاهل كون النظرية اللسانية يجب، في نهاية المطاف، أن ترصد إسقاط البنية الصواتية: /ق ــــ ط ط/ على معنى الكلمة: **قط**. كما أن هذه المعالجة لا يمكنها، طبعا، حتى أن تحقق رغبة فريجه في فصل المعنى «العام» عن المعنى «الخاص».

هل تعتبر الدلالة اللغوية، على هذا التأويل، مستوى منفصلا للبنية المعرفية (الرسم 2.9) أم مجموعة فرعية لبناء التصورات (الرسم 3.9)؟ أعتقد أن بيرفيتش تبنى في مناسبات مختلفة الإمكانين معا. ويبدو أن مفهوم الصورة المنطقية عند شومسكي (على الأقل في صيغة 1981) تمثيل للرسم 2.9، حيث تتضمن الصورة المنطقية سمات دلالية، لكن فقط تلك السمات التي «تحددها القواعد اللغوية فحسب».

إن الموضع الذي لقيت فيه هذه المقاربة أكبر قدر من النجاح، في رأيي، هو عمل بنكر (1989)،

12. إن ليفنسن (2000) على حق في إشارته إلى أن القيود الضرورية يجب تمييزها من القيود القابلة للابطال، مثلا بالاصطلاح على كتابتها ب«ألوان مغايرة» أو تحت عوامل منطقية مختلفة. لكنه يعتبر أن هذا الاختلاف يأتي من نمط من القواعد يؤدي إلى القيود المذكورة–دلالية أو ذريعية. والموقف هنا أن للاختلاف ببساطة خاصية معجمية للقيود المذكورة؛ «فالصعود» ببساطة يوسم بأنه ضروري في المدخل المعجمي ل **طلع** وبأنه قابل للإبطال في مدخل **تسلق**. انظر الفقرة 2.6.11 للمزيد من النقاش.

حيث بين أن البنية الحملية للأفعال -وبعض التناوبات الدالة في البنية الحملية- تابعة لتمييزات ضيقة نسبيا في معنى الفعل. فإذا أمكن لمتعلم اللغة، إذن، أن يضع فعلا معينا في طبقة ضيقة معينة بفضل معناه، فإنه يمكنه جيدا أن يتنبأ بسلوكه التركيبي.

لنتساءل إذن ما هي السمات الدلالية التي تتدخل في التمييزات النحوية عبر اللغات. إنها تشكل مجموعة متنافرة: المفرد مقابل الجمع، الحي مقابل اللا حي، الكتلة مقابل المعدود، الذكر مقابل الأنثى، التسوير، الجعلية، الحركة، حالة «المحمول النفسي»، الشكل غير النسقي (في الأنساق التصنيفية) والوضع الاجتماعي النسبي، من بين أشياء أخرى. إن الطبقات الضيقة عند بنكر التي تبررها تمييزات البنية الحملية، تستلزم عوامل من قبيل: هل تملأ المادة بكيفية لصيقة فضاء معينا (في أفعال مثل ملأ، شحن وحشا) مقابل توزعها على سطح معين (مثل دهن، نشر وبدد). ونجد في مناقشة ليفين وربابورت هوفاك (1996) Levin and Rappaport Hovak لتناوبات البنية الحملية، أن أفعال إصدار الأصوات يمكنها أن تظهر في أطر فعل الحركة إذا أمكن لصدور الصوت أن يقترن مباشرة بعمل الحركة (مثل: صئلت السيارة حول الزاوية، ولكن ليس: * نعقت السيارة حول الزاوية). فلا يبدو إذن أن السمات الدلالية التي تلعب دورا في البنية النحوية تشكل طبقة طبيعية أو بسيطة بشكل خاص. وفي الواقع فإن اقتران إصدار الصوت بالحركة يستلزم بدون شك ما تعتبره الاقتراحات الأخرى معرفة «موسوعية».

إن هذا يوحي لي بأننا لا نربح كثيرا من افتراض مستوى بنيوي منفصل للدلالة اللغوية (كما في الرسم 2.9)، ما دام هذا المستوى لا يبرز قيودا دلالية هامة غير طابعه غير النسقي بالنسبة للتمييزات المعجمية. وهذا يبقينا مع الاختيار الوارد في الرسم 3.9، حيث السمات الدلالية الواردة في البنية النحوية مجموعة فرعية للسمات الواردة في المعنى عموما.

لكن هناك طريقة للحصول على هذه المجموعة الفرعية غير الاكتفاء بتقطيعها داخل نظرية البنية التصورية نفسها. لنتذكر ما أوردناه في القسم الثاني من أن جزءا من نظرية البنية اللغوية يستلزم تخصيصا للقيود الوجاهية التي تربط المعنى المبني في السياق بالصورة اللغوية. ويشكل المعجم جزءا هاما من هذا الوجاه؛ لكنه يجب أن يتضمن أيضا قواعد وجاهية مركبية تخصص كيفية إسقاط التآليف التركيبية للكلمات على المعنى المعقد المبني في السياق. مع أخذ هذا بعين الاعتبار نضع ببساطة الاقتراح البديل التالي:

(14)ليست المجموعة الفرعية للسمات الدلالية الواردة في النحو سوى المجموعة الفرعية التي (يمكن أن) يشار إليها في القواعد الوجاهية المركبية — أي الجزء من بناء التصورات الذي «تراه» هذه القواعد.

إن كون هذه السمات «المرئية نحويا» تشكل، حسب هذه المقاربة، مجموعة متنافرة يبقى في حاجة إلى تفسير، لكننا، على الأقل، لسنا مطالبين بعد بإعطائها تخصيصا صوريا كاشفا: فالقواعد الوجاهية المركبية يمكنها أن ترى كل ما يمكن أن تراه، وإذا كان ما يمكنها أن تراه هو مجموعة دلالية مبنينة بشكل غريب، حسنا، لتلك كيفية ظهوره. وفي نفس الوقت، فإن كون هذه المجموعة الفرعية

ذات طابع غير نسقي نسبيا، يبدو الآن غير مفاجئ. إن القواعد الوجاهية المركبية يفترض أن تنطبق على طبقات أوسع من الوحدات المعجمية المفردة، وبذلك يبقى أن نفكر في أنها تجمع طبقات من الوحدات مع بعضها، أحيانا في طبقات واسعة وأحيانا في طبقات ضيقة. وحسب ما أوردناه في الفصلين الخامس والسابع، فإن الجزء المركبي من الوجاه التركيبي-الدلالي هو فقط تماثل جزئي بين البنيتين، وليس إسقاطا تاما.

إن أقصى ما يمكن قوله أن هذا المنظور موافق لكل ما يقوله بيرفتش وبنكر. (يبدو لي أن اختلاف بيرفيتش 1996 عن هذا بلاغي فقط وليس جوهريا). وتبعا لهذا التصور، لن يكون على قواعد تكوين البنية التصورية أن تعنى بما إذا كان لتمييز معين مقابل نحوي أم لا؛ وهذا يبسط نظرية قواعد التكوين. فسؤال المقابلات النحوية للتمييزات الدلالية لا يطرح إلا في نظرية قيود الوجاه التركيبي-الدلالي.

4.7. الدلالة المختصة بلغة معينة تستلزم دلالة لغوية خاصة.

يقترح البعض أحيانا (الموقف 12 د) أن لكل لغة دلالتها الخاصة، لذلك يجب أن تكون هناك نظرية للدلالة المختصة بلغة معينة منفصلةً عن نظرية المعنى المبني في السياق. وهذه حجج ثلاث قاعدية يدلى بها لصالح هذا الموقف:

(15) أ. يمكن أن تكون للغات مجموعات مختلفة من الوحدات المعجمية التي تقتضي أنساقا ثقافية مختلفة (وغير متلائمة). ومن ثمة لا يمكن أن تكون الدلالة كلية، لأنه ليس هناك ترجمة مباشرة بين اللغات.

ب. إذا ذهبنا إلى أبعد من الوحدات المفردة، فإن للغات بنيات مختلفة للمعجمة. يلاحظ تالمي (1980) Talmy مثلا، أن اللغات الرومانية تختص بإدراج المسار والحركة معا في الفعل، بينما تختص الأنجليزية بإدراج الكيفية والحركة معا (رغم أن لها كذلك حصتها من الأفعال التي تدرج المسار والحركة معا). وتترابط هذه الاختلافات في البنية باختلافات في البنية النحوية أيضا.

ج. للغات مقولات تصريفية تعكس تقسيمات مختلفة للفضاء الدلالي- أنساق جنسية/تصنيفية مختلفة، أنساق زمنية/جهية مختلفة، أنساق مختلفة للسلوك اللطيف. ويجب أن تمكننا الدلالة اللغوية من تخصيص هذه الاختلافات.

إن الجواب عن هذه الحجج هو نفس جواب الفقرة الفرعية السابقة. فكل هذه الحجج تتعلق بالكيفية التي تسقط بها عناصر الصورة اللغوية في مركبات المعنى، وليس بمحتويات المعنى نفسه. لذلك يمكن تخصيصها باعتبارها اختلافات لغوية خاصة في القواعد الوجاهية-سواء (أ) في الإسقاط المقترن بمفردات ثقافية خاصة، (ب) أو في البنيات العامة للإسقاطات المرمزة في طبقات من الوحدات المعجمية (التي نتذكر أنها قواعد وجاهية)، أو (ج) في القواعد الوجاهية المركبية المقترنة بالسمات النحوية والصرفية. وهذه، إذن، دلالة لغوية بكيفية خاصة، ليس لأنها تستحضر بنية معرفية من نوع مختلف، بل لأنها تستلزم كيفية إسقاط مفردات ونحو لغات مختلفة على نفس المستوى البنيوي

التصوري، لتنتج بذلك تجميعات طبيعية مختلفة للمعاني لدى مستعملي لغات مختلفة.

إن الموقف (12 د) ليس بعيدا عن الموقف المشهور المنبثق من اللسانيات والإناسة الذي غالبا ما يسمى فرضية وورف-سابير (كارول Carroll 1956). وهذا الموقف يشدد على تبعية الفكر للغة، معتبرا أن الاختلافات بين اللغات تؤثر بقوة في عمليات الفكر لدى متكلميها. ومرة أخرى هناك درجة معينة من المقبولية في هذا الزعم، وخاصة في مجال المفردات. وبالفعل، فليس من الضروري أن ننظر إلى اللغات الأخرى: يمكننا ببساطة أن ننظر إلى المفردات الفرعية الفنية في لغتنا (لنقل المصطلحات الكيميائية، الطبية، الثقافية، أو الدينية) لنرى الدرجة العالية من الدقة التي تتاح في الخطاب والفكر بفضل امتلاك مفردات مقسمة بأناقة أكبر.[13]

إن زعم وورف الأكثر جذرية كان أن البنية النحوية تؤثر بشكل أساسي في الفكر. فقد زعم، مثلا، أن لغة الهوبي لا تملك عناصر تحيل على الزمن، ومن ثمة فإن المتكلمين بلغة الهوبي وحدها لا يملكون تصورا للزمن؛ وقد تم إبطال مظهري هذا الزعم معا عند ملوتكي (1983) Malotki. وحديثا، بينت تجارب أوردها ليفنسن (1996) بعض الاختلافات الهامة في الفهم الفضائي غير اللغوي لدى متكلمي بعض لغات المايا وأوستراليا، مقارنة بمتكلمي اللغات الأوروبية؛ ويظهر أن هذه الاختلافات مرتبطة بالطريقة التي ترمز بها هذه اللغات العلاقات الفضائية، داعمة بذلك الصيغة المحدودة لفرضية سابير-وورف. (رغم أن لي وكليتمان Li and Gleitman 2000 يجادلان حتى في هذه النتائج المتواضعة).

والخلاصة أن طبيعة الفكر يمكن أن تتأثر إلى درجة معينة محدودة بميول وجاهها المتصل بمختلف اللغات: فبعض الأفكار تكون في المتناول بسهولة أكبر لأن لغة معينة تجعل التعبير عنها أسهل. ومثل هذه النتيجة تبقى متلائمة مع عدم وجود مستوى خاص للدلالة اللغوية. بل إن طبيعة تصورات المتكلم الخاصة باللغة، كما هي، تعتبر نتيجة للوجاه الخاص باللغة الرابط بين التركيب/الصواتة والمعنى- بما في ذلك المعجم.

لإجمال مناقشتنا حول العش البيئي لدلالة لغوية خاصة في الذهن الوظيفي نقول: إن هناك عشا كهذا، ولكن ليس باعتباره مستوى بنيويا منفصلا. ويبدو من المستحيل إقامة تمييزات مثل «منطقي/غير منطقي» و «قاموس/موسوعة»، ولا يظهر أنها تجري تمييزا وظيفيا نافعا في رصد الذهن الوظيفي. بل إن الدلالة اللغوية في حد ذاتها دراسة الوجاه بين بناء التصورات والصورة اللغوية (الصواتة والتركيب). ومن ثمة فهي تدرس تنظيمات بناء التصورات التي يمكن أن تعبر عنها اللغة أو تستحضرها. وتدرس الدلالة المعجمية، على وجه الخصوص، تنظيمات بناء التصورات التي يمكن أن تلفف في كلمة واحدة (أو بتعبير أوضح، في قاعدة وجاهية طرفها النهائي الآخر عبارة عن صرفية).

---

13. عرضا، يمكن أن نعود ب«الأسطورة الحضرية» القائلة إن لغات الإسكيمو تملك عشرات الكلمات للثلج إلى زعم أقل تطرفا بكثير عند وورف؛ والفئة الفعلية لهذه الكلمات لا تختلف عن الأنجليزية *sleet* [مطر مع برد]، *slush* [ثلج في بداية ذوبانه]، *blizzard* [ريح للجبهة]، *powder* [الرذاذ الثلجي].

لكن كل هذا العمل يمكن أن يتم في إطار هندسة وظيفية تماثل، ببساطة، الرسم 1.9، حيث لا يوجد مستوى لـ«معنى لغوي على وجه الحصر» يتدخل بين الصورة اللغوية والتصورات.

مراجع

Bar-Hillel, Yehoshua 1970. The Outlook for Computational Semantics. In Bar-Hillel, *Aspects of Language*. Jerusalem: Magnes Press.
Barnden, J. 1996. Unconscious Gaps in Jackendoff's "How Language Helps Us Think". *Pragmatics and Cognition* 4.
Bierwisch, Manfred 1967. Some Semantic Universals of German Adjectivals. *Foundations of Language* 3.
Bierwisch, Manfred 1969. On Certain Problems of Semantic Representation. *Foundations of Language* 5.
Bierwisch, Manfred 1996. How Much Space Gets into Language? In Bloom 1996, *Language and Space*. Cambridge, Mass: MIT Press.
Bierwisch, Manfred and Ewald Lang, eds. 1989. *Dimensional Adjectives: Grammatical Structure and Conceptual Interpretation*. Berlin: Springer.
Bolinger, Dwight 1965. The Atomization of Meaning. *Language* 4.
Bratman, Michael 1987. *Intention, Plan, and Practical Reason*. Cambridge, Mass.: Harvard University Press.
Byrne, Richard W. and Andrew Whiten, eds., 1988. *Machiavellian Intelligence: Social Expertise and the Evolution of Intellect in Monkeys, Apes, and Humans*. Oxford: Clarendon Press.
Carnap, Rudolf 1964. Foundations of Logic and Mathematics. In J. Fodor and J. Katz, eds., *The Structure of Language*. New York: Prentice-Hall.
Carroll, John B., ed., 1956. *Language, Thought, and Reality: Selected Writings of Benjamin Lee Whorf*. Cambridge, Mass.: MIT Press.
Cela-Conde, Camilo J. and Gisèle Marty 1998. An Interview with Noam Chomsky. *Syntax* 1.
Chomsky, Noam 1957. *Syntactic Structures*. The Hague: Mouton.
Chomsky, Noam 1959. Review of B.F. Skinner, *Verbal Bebavior. Language* 35.
Chomsky, Noam 1965. *Aspects of the Theory of Syntax*. Cambridge, Mass: MIT Press.
Chomsky, Noam 1966. *Cartesian Linguistics*. New York: Harper & Row.
Chomsky, Noam 1970. Remarks on Nominalization. In R. Jacobs and P. Rosenbaum, eds., *Readings in English Transformational Grammar*. Waltham, Mass: Ginn.
Chomsky, Noam 1975. *Reflections on Language*. New York: Pantheon.

Chomsky, Noam 1981. *Lectures on Government and Binding*. Dordrecht: Foris.
Chomsky, Noam 1986. *Knowledge of Language*. New York: Praeger.
Chomsky, Noam 2000. *New Horizons in the Study of Language and Mind*. Cambridge: Cambridge University Press.
Clark, Herbert H. 1996. *Using Language*. Cambridge: Cambridge University Press.
Culicover, Peter and Ray Jackendoff 1995. Something Else for the Binding Theory. *Linguistic Inquiry* 26.
Davis, Steven 1999. The Unity of Science and the Distinction among Syntax, Semantics, and Pragmatics. In Jackendoff et al. 1999. *Language, Logic, and Concepts: Essays in Memory of John Macnamara*. Cambridge, Mass: MIT Press.
de Waal, Frans B. M. 1996. *Good Natured: The Origins of Right and Wrong in Humans and other Animals*. Cambridge, Mass.: Harvard University Press.
Dufva, H. and M. Lähteenmäki 1996. But Who Killed Harry? A Dialogical Approach to Language and Consciousness. *Pragmatics and Cognition* 4.
Fodor, Jerry 1975. *The Language of Thought*. Cambridge, Mass.: Harvard University Press.
Fodor, Jerry 1983. *The Modularity of Mind*, Cambridge. Mass: MIT Press.
Fodor, Jerry 1990. *A Theory of Content and Other Essays*. Cambridge, Mass: MIT Press.
Fodor, Jerry 1998. *Concepts: Where Cognitive Science Went Wrong*. Oxford: Oxford University Press.
Fodor, Jerry 2000. *The Mind Doesn't Work That Way*. Cambridge, Mass: MIT Press
Frege, Gottlob 1892. Uber Sinn und Bedeutung. *Zeitschrift für Philosophie und philosophische Kritik* 100: 25-50. English translation in P. Geach and M. Black, eds., *Translations from the philosophical Writings of Gottlob Frege*, 56-78. Oxford: Blackwell, 1952.
Gigerenzer, Gerd 2000. *Adaptive Thinking: Rationality in the Real World*. New York. Oxford University Press.
Goddard, Cliff, and Anna Wierzbicka, eds., 1994. *Semantic and Lexical Universals*. Amsterdam: John Benjamins.
Goodall, Jane van Lawick 1971. *In the Shadow of Man*. New York: Dell.
Grimshaw, Jane 1993. Semantic Structure and Semantic Content in Lexical Representation. MS, Centre for Cognitive Science, Rutgers University.
Jackendoff, Ray 1972. *Semantic Interpretation in Generative Grammar*. Cambridge, Mass: MIT Press.
Jackendoff, Ray 1983. *Semantics and Cognition*. Cambridge, Mass: MIT Press.
Jackendoff, Ray 1987. *Consciousness and the Computational Mind*. Cambridge Mass: MIT Press.
Jackendoff, Ray 1990. *Semantic Structures*. Cambridge Mass: MIT Press.
Jackendoff, Ray 1994. *Patterns in the Mind: Language and Human Nature*. New York: Basic Books.
Jackendoff, Ray 1996. The Proper Treatment of Measuring Out, Telicity, and possibly even Quantification in English. *Natural Language and Linguistic Theory* 14.
Jackendoff, Ray 1997. *The Architecture of the Language Faculty*. Cambridge Mass: MIT Press.

Kahneman, Daniel, Paul Slovic, and Amos Tversky, eds., 1982. *Judgment under Uncertainty: Heuristics and Biases*. Cambridge: Cambridge University Press.
Katz, Jerrold 1972. *Semantic Theory*. New York: Harper & Row.
Katz, Jerrold 1980. Chomsky on Meaning. *Language* 56.
Katz, Jerrold and Jerry Fodor 1963. The Structure of a Semantic Theory. *Language* 39.
Köhler, Wolfgang 1927. *The Mentality of Apes*. London: Routledge & Kegan Paul.
Kuno, Susumu 1987. *Functional Syntax*. Chicago: University of Chicago Press.
Lakoff, George 1970. *Irregularity in Syntax*. New York: Holt, Rinehart & Winston.
Lakoff, George 1971. On Generative Semantics. In D. Steinberg and L. Jakobovits, eds., *Semantics: An Interdisciplinary Reader in Philosophy, Linguistics, and Psychology*. New York: Cambridge University Press.
Lakoff, George 1987. *Women, Fire, and Dangerous Things*. Chicago: University of Chicago Press.
Langacker, Ronald 1987. *Foundations of Cognitive Grammar*, vol. i. Stanford, Calif.: Stanford University Press.
Lasnik, Howard 1989 . *Essays on Anaphora*. Dordrecht: Kluwer.
Lees, Robert and Edward S. Klima 1963. Rules for English Pronominalization. *Language* 39.
Levin, Beth 1996. Lexical Semantics and Syntactic Structure. In Lappin, Shalom, ed., 1996. *The Handbook of Contemporary Semantic Theory*. Oxford: Blackwel.
Levinson, Stephen C. 1996. Frames of Reference and Molyneux's Question: Crosslinguistic Evidence. In Bloom et al. 1996. *Language and Space*. Cambridge, Mass: MIT Press.
Levinson, Stephen C. 2000. *Presumptive Meanings: The Theory of Generalized Conversational Implicature*. Cambridge, Mass: MIT Press.
Li, Peggy, and Lila Gleitman 2000. Turning the Tables: Explorations in Spatial Cognition. Philadelphia: University of Pennsylvania Institute for Research in Cognitive Science.
Malotki, Ekkehart 1983. *Hopi Time: A Linguistic Analysis of the Temporal Concepts in the Hopi Language*. Berlin: Mouton.
Pinker, Steven 1989. *Learnability and Cognition: The Acquisition of Argument Structure*. Cambridge, Mass: MIT Press.
Pustejovsky, James 1995. *The Generative Lexicon*. Cambridge, Mass: MIT Press.
Putnam, Hilary 1975. The Meaning of "Meaning". In K. Gunderson, ed., *Language, Mind, and Knowledge*. Minneapolis: University of Minnesota Press.
Ross, John Robert 1967. *Constraints on Variables in Syntax*. Ph. D. dissertation, MIT. Published as *Infinite Syntax!* Norwood, NJ: Ablex, 1986.
Smith, Edward, and Douglas Medin 1981. *Categories and Concepts*. Cambridge, Mass: Harvard University Press.
Sperber, Dan, and Deirdre Wilson 1986. *Relevance*. Cambridge, Mass: Harvard University Press.
Talmy, Leonard 1980. Lexicalization Patterns: Semantic Structure in Lexical Forms. In T. Shopen et al, eds., *Language Typology and Syntatic Description*, vol. iii. New York: Cambridge, University Press.

Tooby, John, and Leda Cosmides 1992. The Psychological Foundations of Culture. In Barkow et al, 1992. *The Adapted Mind.* Oxford: Oxford University Press.
Van Hoek, Karen 1995. Conceptual Reference Points: A Cognitive Grammar Account of Pronominal Anaphora Constraints. *Language* 71.
Van Valin, Robert 1994. Extraction Restrictions, Competing Theories, and the Argument from the Poverty of the Stimulus. In S.D. Lima, R. L. Corrigan, and G. K. Iverson, eds., *The Reality of Linguistic Rules.* Amsterdam: John Benjamins.
Watson, John B. 1913. Psychology as the Behaviorist Views It. *Psychological Review* 20.
Weinreich, Uriel 1966. Explorations in Semantic Theory. In T. Sebeok, ed., *Current Trends in Linguistics*, vol. iii. The Hague: Mouton. Repr. In U. Weinreich, *on Semantics.* Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1980.
Wierzbicka, Anna 1988. *The Semantics of Grammar.* Amsterdam: John Benjamins.
Wierzbicka, Anna 1996. *Semantics: Primes and Universals.* Oxford: Oxford University Press.
Wittgenstein, Ludwig 1953. *Philosophical Investigations.* Oxford: Blackwel.

نوام شومسكي

ثلاثة عوامل في تصميم اللغة

تنظر اللسانيات الأحيائية إلى الملكة اللغوية بوصفها «عضوا من أعضاء الجسد»، على شاكلة أعضاء معرفية أخرى. وبتبنينا لهذا المنظور، نتوقع أن نجد ثلاثة عوامل تتفاعل في تحديد اللغات الداخلية التي يتم الوصول إليها: التجهيز الوراثي (موضوع النحو الكلي والتجربة والمبادئ المستقلة عن اللغة- أو الجهاز العضوي. لقد كان طبيعيا أن ينصَب البحث على اللغات الداخلية والنحو الكلي والكفاية التفسيرية. ومكنت مقاربة المبادئ والوسائط من البحث الجاد في العامل الثالث، ومحاولة رصد خصائص اللغة في إطار الاعتبارات العامة للنجاعة الحاسوبية، والاستغناء عن بعض من التكنلوجيا المتبناة بوصفها خاصة باللغة، وتقديم تفسير مبدأ للظواهر اللغوية أكثر مما كان عليه الأمر في السابق.[1]

منذ ثلاثين سنة مضت، عقد لقاء دولي في معهد ماساشوستس للتكنلوجيا (م.م.ت) (MIT) سنة 1974، بتعاون مع معهد روايمون Royaumont Institute بباريس، في موضوع «اللسانيات الأحيائية»، وهو مصطلح اقترحه منظم اللقاء، ماسيمو بياتلي بلمريني Massimo Piattelli-Palmarini، وهو كذلك عنوان لكتاب حديث أنجزه ليل جينكنز (2002) يرصد فيه المجال ويقترح اتجاهات جديدة.[2] لقد كان هذا واحدا فقط من مثل هذه التفاعلات العديدة في تلك السنوات، بما في ذلك المناظرات المتداخلة التخصصات والندوات الدولية.

لقد بدأ المنظور اللساني الأحيائي يتشكل على امتداد عشرين سنة خلت في مناقشات بعض طلبة الدراسات العليا الذين كانوا متأثرين بالتطورات التي حصلت في مجال علم الأحياء والرياضيات في السنوات الأولى بعد الحرب، بما في ذلك الأعمال في مجال علم سلوك الحيوان الطبيعي (ethology) الذي كان حديث العهد في الولايات المتحدة الأمريكية. من بين هؤلاء، إيرك لينبرك Eric Lenneberg، الذي تظل دراسته الرائدة سنة 1967: *Biological Foundations of*

1. يعد هذا المقال صيغة موسعة لمحاضرة ألقيت في الملتقى السنوي لجمعية اللسانيات الأمريكية، في 9 يناير 2004. أشكر لسيدريك بوكس Cedric Boecks وصمويل دافيد إيبستين Samuel David Epstein وروبرت فريدن Robert Freidin ولايل جينكنز Lyle Jenkins وهوارد لاسنيك Howard Lasnik ولوجي ردزي Luigi Rizzi، من بين أخرين، تعليقاتهم على مسودة سابقة.

2. عقدت الندوة المعنونة ب «A Debate on Biolinguistics»، بدار إندكوت Endicott House وديدام Dedham وماساشوستس، 20-21 ماي 1974، ونظمها مركز روايمون لعلوم الإنسان، باريس.

Language (الأسس الأحيائية للغة) وثيقة أساسية في المجال. وكثير من القضايا التي نوقشت في ندوة 1974، وفي السنوات التي قادت إليها، مازال قائما اليوم بشكل كبير.

ومن الأسئلة التي تكررت داخل المؤتمر بوصفها «إحدى الأسئلة الأساسية التي ينبغي طرحها من وجهة النظر الأحيائية» السؤال إلى أي حد تعد المبادئ التي يظهر أنها خاصة باللغة، بما في ذلك المبادئ المكتشفة مؤخرا، هي فعلا خاصة بهذا النسق المعرفي، أو هل هناك «تنظيمات صورية» مماثلة توجد في مجالات معرفية أخرى عند الإنسان أو عند أنظمة عضوية أخرى. وهناك سؤال أساسي جدا من وجهة المنظور الأحيائي يتمثل في معرفة القدر اللغوي الذي يمكن أن نقدم له تفسيرا ممبدأ، وهل يمكن أو لا يمكن أن نجد عناصر مماثلة في مجالات أو أنظمة عضوية أخرى. إن المجهود الذي بذل لتدقيق هذه الأسئلة والبحث فيها داخل اللغة أصبح يعرف في السنوات الأخيرة «بالبرنامج الأدنوي»، غير أن هذه الأسئلة تطرح بالنسبة لأي نسق أحيائي كما أنها تعد مستقلة عن أي اقتناع نظري، في اللغة أو في مجال آخر. وتعد الأجوبة عن هذه الأسئلة أساسية ليس فقط لفهم طبيعة ووظيفة الأنظمة العضوية وأنساقها الفرعية، بل أيضا للبحث في نشوئها وتطورها. فبالنسبة لأي نسق عضوي، بما في ذلك اللغة، السؤال الوحيد العام الذي يطرح عن البرنامج هو هل يمكن أن نتابع السير فيه على نحو منتج أو أنه سابق لأوانه.

في هذه الملاحظات، سأحاول أن أحدد ما يبدو لي محاورَ هامة للبحث في اللسانيات الأحيائية في النصف الثاني من القرن الماضي، كما سأنظر في وضعها الراهن. وهناك عدد من الحيثيات الأولية التي ينبغي أن تكون جلية. أولا، إن الصورة التي أقدمها شخصية؛ فآخرون سيقومون، بدون شك، باختيارات أخرى. ثانيا، مع مرور الزمن، تبدو الأشياء أكثر وضوحا مقارنة بالوقت الذي تظهر فيه، لذلك سنجد بعض المفارقات التاريخية في هذا الوصف، لكنها لن تكون كثيرة. ثالثا، لا يمكنني أن أذكر جميع المساهمات لعدد كبير من الناس ساهموا في المشروع الجماعي، خصوصا أن الحقول المرتبطة بهذا المشروع توسعت بشكل كبير منذ ندوة 1974.

يذهب المنظور اللساني الأحيائي إلى أن لغةَ فرد معين حالةٌ لمكون من مكونات الذهن. ونفهم الذهن هنا بالمعنى الذي نجده عند علماء القرن الثامن عشر الذين اعترفوا بأنه بعد تحطيم نيوطن للمفهوم المتسق الوحيد للجسد، لا يمكننا النظر إلى مظاهر العالم الذي «يسمى ذهنيا» إلا بوصفها نتيجة «للبنية العضوية للدماغ» (جوزيف بريستلي Joseph Priestley). فضمن مجموعة عريضة من الظواهر التي يمكن أن نعدها مرتبطة باللغة على سبيل التوسع، تركز المقاربة اللسانية الأحيائية اهتمامها على مكون من البنية الأحيائية للإنسان يختص باستعمال واكتساب اللغة، كيفما كان تأويلنا لمصطلح «اللغة». لنسمّها «الملكة اللغوية»، مقتبسين بذلك مصطلحا قديما لاستعمال حديث. يشبه هذا المكون إلى حد ما الأنساق البصرية للثدييات وأنساق ملاحة الحشرات وأنظمة أخرى. وفي العديد من هذه الحالات، فإن أفضل النظريات التفسيرية الموجودة تنظر إلى النسق العضوي على أنه يملك أنساقا حاسوبية وما يسمى في الاستعمال الشائع «باتباع القواعد»، كما هو الحال مثلا عندما يقدّم نَصٌ حديث عن البصر ما يعرف بمبدأ الصلابة كما صيغ منذ خمسين سنة خلت: «إذا أمكن،

وسمحت بذلك قواعد أخرى، أوّل حركات الصور على أنها إسقاطات لحركات صلبة في الأبعاد الثلاثة» (هوفمان 1998: 169). في هذا الصدد، قدمت الأعمال اللاحقة إضاءات جوهرية عن الحوسبات الذهنية التي يبدو أنها تعمل عندما يتبع النسق البصري هذه القواعد، بل حتى بالنسبة لأبسط الأنظمة العضوية، وهذه مهمة غير يسيرة، كما يعد ربط الحوسبات الذهنية بالتحليل على المستوى الخَلَوي هدفا بعيدا بشكل عام.

بتبنينا لهذا التصور، نَعُدُّ اللغة حالة للملكة الذهنية، أي لغة داخلية (=لغة-د) بالمعنى التقني.

لقد كان قرار دراسة اللغة بوصفها جزءا من العالم [الطبيعي] بهذا المعنى مثار جدل في ذلك الوقت، ومازال. غير أن القيام بنظرة متفحصة سيبين، فيما أظن، أن الحججَ المقدمة ضد مشروعية هذه المقاربة ذاتُ قوة ضعيفة (الأطروحة الضعيفة) وأن مسلماتها الأساسية يتبناها بشكل ضمني حتى أولائك الذين يرفضونها بحدة، وينبغي أن تكون كذلك، ولو لغرض الاتساق (الأطروحة الأكثر قوة). لن أتطرق هنا للفصل الهام من التاريخ الفكري المعاصر، ولكن سأسلم ببساطة بأن المظاهر الحاسمة للغة يمكن دراستها بوصفها جزءا من العالم الطبيعي، متبنين بذلك المقاربة اللسانية الأحيائية التي تشكلت على امتداد النصف الثاني من القرن الماضي والتي اتُّبِعت بشكل مكثف منذ ذلك الحين في اتجاهات مختلفة.

الملكة اللغوية مكون من مكونات ما يسميه واحد من المشاركين في اكتشاف النظرية التطورية المعاصرة، ألفرد راسل والاص Alfred Russel Wallace، «بالطبيعة الفكرية الأخلاقية للإنسان»: تعد القدرات الإنسانية الخاصة بالخيال الخلاق واللغة، والأنساق الرمزية بشكل عام، والرياضيات، وتأويل وتسجيل الظواهر الطبيعية، والممارسات الاجتماعية المعقدة، وما شابه ذلك، مركبا من القدرات التي يبدو أنها تشكلت حديثا إلى حد ما، ربما قليلا على امتداد خمسين ألف سنة خلت، من ضمن مجموعة صغيرة تناسلت وانحدرنا منها جميعا –مركبا ميز الإنسان من حيوانات أخرى على نحو حاسم، بما في ذلك فصيل الإنسانيات (hominids)، كما تدل على ذلك الآثار التي تركوها في السجل الأركيولوجي. إن طبيعة «القدرة الإنسانية»، كما يسميها حاليا بعض الباحثين، تظل لغزا كبيرا اليوم. إنها واحدة من العناصر التي أثارت خلافا مشهورا بين مكتشفي نظرية التطور. يذهب والاص، خلافا لداروين، إلى أن تطور هذه الملكات لا يمكن تفسيره بواسطة التنوع والانتقاء الطبيعي وحده، بل يتطلب «تأثيرا معينا آخر، قانونا، أو تدخلا»، ومبدأ طبيعيا معينا إلى جانب الجاذبية، والاتساق، وقوى أخرى لا يمكن للعالم المادي أن يوجد بدونها. وعلى الرغم من أن القضايا الآن أخذت شكلا آخر داخل علوم الأحياء الخالصة، فإنها لم تختف (انظر والاص 1889: الفصل 15، مارشاك Marshack 1985).

هناك مسلمة عامة مُفادها أنه كيفما كانت القدرة الفكرية الإنسانية، فإن الملكة اللغوية تعد جوهرية داخلها. فالعديد من العلماء يتفقون مع عالم انثربولوجيا المُسْتحَثات (paleoanthropologist) إيان طاترسال Ian Tattersall، الذي يقول إنه: «متأكد تقريبا من أن ابتكار اللغة» هو الذي شكل

الحدث «المفاجئ والانبثاقي» الذي «حرَّر» مُنَبِّه ظهور الملكة الإنسانية في السجل التطوري —«الخطوة الكبرى إلى الأمام» كما يسميها جاريد دايمن Jared Diomand، التي نتجت عن حدث وراثي أعاد نسج خيوط الدماغ، فسمح بظهور أصل اللغة الحديثة ذات التركيب الغني الذي يقدم صيغا هائلة للتعبير عن الفكر، وهذا شرط أساسي للتطور الاجتماعي وللتغييرات الحاسمة في السلوك المُبيِّنة في السجل الأثري، كما يفترض أنه أيضا السبب في الهجرة السريعة من افريقيا، حيث كان يوجد فيما يبدو الإنسان المعاصر، في صورة معينة، منذ مئات آلاف السنين (طاترسال 1998: 24-25، وانظر أيضا ويلز Wells 2002). ينظر طاترسال إلى اللغة بأنها «مرادفة افتراضيا للفكر الرمزي». وقد لاحظ فرانسوا جاكوب François Jacob، واحد من رواد ندوة روايمون–م.م.ت، أن «دور اللغة بوصفها نسقا تواصليا بين الأفراد قد يكون حدث فقط في درجة ثانية، كما يعتقد العديد من اللسانيين» (1982: 59)، ربما كان يحيل بذلك على النقاش الذي كان دائرا خلال الندوة، لمّا كان يتكرر طرح المسألة، بين علماء الأحياء كذلك. في ندوة 1974، كان سلفادور لوريا Salvador Luria، أحد المشاركين في الندوة والحائز على جائزة نوبل، أهم المدافعين بقوة عن الرأي القائل بأن ضرورات التواصل لم تكن لتقدم «أي ضغط انتقائي لإنتاج نسق مماثل للغة»، له علاقة حاسمة «بتطور تفكير مجرد أو منتج» (لوريا 1974: 195). «إن خاصية اللغة التي تجعلها فريدة لا يبدو أنها تتمثل كثيرا في دورها في إيصال التوجيهات للعمل» أو في سمات أخرى مشتركة من التواصل الحيواني، ولكنها، يواصل جاكوب قائلا، تتمثل في «دورها في الترميز، باستحضارها للصور المعرفية»، وفي «تشكيل» مفهومنا للواقع وفي تطويع قدرتنا على التفكير والتخطيط، عبر خاصيتها الوحيدة المتمثلة في السماح «بتنظيمات لا متناهية من الرموز»، ومن ثمة «الخلق الذهني للعوالم الممكنة»، إنها أفكار تعود إلى الثورة المعرفية للقرن السابع عشر (1982: 59). ويؤكد جاكوب أيضا الإحساس المشترك بأن الأجوبة عن قضايا التطور «في جل الحالات ... لا يمكن أن تكون أكثر من مجرد تخمينات معقولة إلى حد ما» (1982: 31).

يمكن أن نضيف فكرة متبصرة أخرى من فلسفة القرنين السابع والثامن عشر: وهي أنه حتى أكثر التصورات أولية للغة البشرية لا ترتبط بموضوعات الذهن المستقلة عن طريق علاقة شبه إحالية بين الرموز وسمات فزيائية من العالم الخارجي قابلة للمعاينة، مثلما يبدو ذلك كليا في أنساق التواصل الحيواني. إنها، خلافا لذلك، إبداعات «للقوى المعرفية» التي تزودنا بطرق غنية للإحالة على العالم الخارجي من خلال بعض المنظورات، [إن هذه التصورات] تُفرَد بواسطة العمليات الذهنية التي لا يمكن إرجاعها إلى «طبيعة خاصة تنتمي إلى» الشيء الذي نتحدث عنه، حسب هيوم Hume، ملخصا قرنا من البحث. يعد ما تقدم ملاحظات حاسمة عن دلالة أولية للغة الطبيعية، تقترح أن عناصرها الأكثر أولية ترتبط بعالم الذهن المستقل بنفس القدر الذي ترتبط العناصر الداخلية للصوّاتة به، ليس بواسطة علاقة شبه إحالية ولكن بوصفها جزءا من نوع بالغ التعقيد من التصور والعمل. فبناء على أسباب مماثلة لهذه، رغم أنها لم تكن مفهومة بشكل واضح آنذاك، تبنى العمل الأول في الخمسينيات نوعا من «نظرية للاستعمال للمعنى» (use theory of meaning) قريبة من المعنى الذي نجده عند جون أوستين John Austin وفتجنشتاين Wittgenstein المتأخر: كان ينظر إلى

اللغة كأداة تستعمل لأغراض إنسانية مختلفة، وتولد العبارات بما في ذلك تنظيم العناصر الأساسية للغة، دون تقسيم لما هو نحوي وغير نحوي، وكل واحدة منها هي أساسا مركب من التوجيهات نحو الاستعمال (انظر شومسكي 1955، البنية المنطقية للنظرية اللسانية (ب م ن ل)).[3]

إذا كان ما تقدم، بشكل عام، يسير في الطريق الصحيح، فإن هناك مشكلتين تبرزان عندما ننظر إلى أصول الملكة اللغوية وإلى دورها في الانبثاق المفاجئ للقدرات الفكرية الإنسانية: أولا، جوهر دلالة العناصر الدنيا الحاملة للمعنى، بما في ذلك أبسطها؛ وثانيا، المبادئ التي تسمح بالتأليف اللامتناهي للرموز، منظمة بشكل سُلّمي يوفر الوسائل لاستعمال اللغة في مظاهرها المختلفة. وعليه، يجب على النظرية الجوهرية للغة-النحو الكلي (ن ك)– أن توفر، أولا، جردا مُبَنْيَنا للوحدات المعجمية الممكنة المرتبطة أو ربما المماثلة للتصورات التي تعد عناصر «للقوى المعرفية»، التي ينظر إليها أحيانا اليوم بوصفها «لغة للفكر» على غرار ما قام بتطويره جِري فودر (1975) Jerry Fodor؛ وثانيا، أن تقدم، بالاعتماد على هذه الوحدات المعجمية، الوسائل لبناء البنيات الداخلية المتنوعة واللامتناهية التي تدخل في الفكر والتأويل والتخطيط وفي أعمال إنسانية ذهنية أخرى، والتي تستعمل أحيانا في العمل، بما في ذلك الإظهار الذي يعد عملية ثانوية إذا صحّت التأملات التي قمنا بمراجعتها. وفي خصوص المشكل الأول، أي ما يبدو أنه جهاز معجمي تصوري خاص بالإنسان، هناك عمل هام عن المفاهيم العلاقية المرتبطة بالبنيات التركيبية وعن موضوعات الذهن الداخلية جزئيا التي يبدو أنها تقوم بدور حاسم (الأحداث والقضايا، إلخ.).[4] ولكن، باستثناء ملاحظات وصفية، هناك القليل عن جوهر الجهاز الإحالي الذي يستعمل للحديث عن العالم. أما المشكل الثاني فقد احتل صدارة البحث اللساني مدة نصف قرن، علما بأنه يملك قبل هذا تاريخا طويلا بمصطلحات مختلفة.

لقد تبنت المقاربة اللسانية الأحيائية منذ البداية وجهة النظر التي يسميها كاليسطل (1997) C. R. Gallistel «المعيار في العلوم العصبية اليوم» (ص. 86)، «المنظور القالبي للتعلم»: الخلاصة أن جميع الحيوانات تملك «غرائز للتعلم» (ص. 88) بطرق خاصة، باعتماد هذا التعلم على آليات متخصصة. ويمكن أن ننظر إلى هذه الآليات بوصفها «أعضاء داخل الدماغ» (ص. 86)، تصل إلى حالات تقوم فيها بإنجاز أنواع خاصة من الحوسبة. وباستثناء «البيئات المعادية جدا»، فإنها تُغيرّ الحالات بسبب التأثير المُشَكِّل والفاعل للعوامل الخارجية، على نحو منعكس إلى حد ما، وفاقا للتصميم الداخلي. هذه هي «عملية التعلم» (كاليسطل 1997، 1999)، على الرغم من أن «النشوء» يمكن أن يكون مصطلحا ملائما أكثر، متجنبين المعنى الإيحائي لمصطلح «التعلم». بالطبع، فإن المنظور القالبي للتعلم لا يستلزم أن تكون العناصر المكونة للقالب خاصة به: ففي مستوى معين، كل واحد يفترض أنها ليست كذلك – في المستوى الخَلَوي، مثلا- أما مسألة مستوى التنظيم الذي تنبثق فيه الخصائص الخاصة فتظل مسألة أساسية من منظور أحيائي، كما كان الأمر في ندوة 1974.

---

3. بالنسبة للنقاش اللاحق، انظر شومسكي (1966، 2001ب)، وماك كيلفري (1999) McGilvray، وأنطوني وهورنستين (2003) Antony and Hornstein.

4. انظر هورر (2004 أ، ب) Horer في عرض مفصل وتحليل أصيل لمثل هذه القضايا.

تستدعي ملاحظات كاليسطل مفهوم «التَقنية» (canalization) الذي أدخله وادنكطون C. H. Waddington إلى علم الأحياء التطوري وعلم أحياء النمو على امتداد ستين عاما، محيلا على العمليات «المعدلّة لإنجاز نتيجة نهائية محددة بغض النظر عن التغيرات الصغيرة في الظروف خلال مجرى رد الفعل»، وبذلك يتم تأمين «إنتاج ما هو عادي، أي النمط الأمثل في وجه مصادفات الوجود التي لا يمكن تجنبها» (وادنكطون 1942). يبدو هذا وصفا صحيحا لنشوء اللغة لدى الأفراد. لكن هناك مشكل جوهري في دراسة ملكة اللغة يكمن في نكشف الآليات التي تقيد النتائج النهائية المؤدية «للأنماط المثلى».

لقد تم الاعتراف منذ تأسيس علم الأحياء المعاصر بأن مثل هذه القيود لا تدخل فقط في نشوء الأنظمة العضوية ولكن أيضا في تطورها، مع وجود جذور لها في التقاليد الأولى التي يسميها ستيوارت كوفمان Stuart Koffman «الشكل العقلاني» (1993: 3-5).[5] ففي بحث كلاسيكي معاصر، أرجع جون ماينار سميث John Maynard Smith ومساعدوه الصياغة الجديدة ما بعد الداروينية إلى طوماس هوكسلي Thomas Huxley، الذي أدهشه، فيما يبدو، وجود «خطوط محددة سلفا للتغيير» تقود الانتقاء الطبيعي «لإنتاج تنوعات ذات عدد وصنف محددين» بالنسبة لكل نوع (ماينار وآخرون 1985: 266).[6] لقد قاموا بمراجعة مثل هذه القيود في العالم العضوي ووصفوا كيف أن «الحدود الموضوعة على تنوع النمط العضوي الظاهري » «تتسبب فيها البنية، والطبع، والمكونات، أو ديناميات نسق النمو»، مشيرين أيضا إلى أن «مثل هذه القيود التنموية... تلعب دون شك دورا بارزا في التطور»، على الرغم من أنه مازال هناك «اتفاق قليل حول أهميتها مقارنة بالانتقاء والتحول التدريجي وعوامل أخرى مماثلة تساهم في تشكيل التاريخ التطوري» (ص. 265). وفي نفس الوقت تقريبا، ذهب جاكوب إلى أن «القواعد التي تراقب النمو الجنيني»، المجهولة كليا تقريبا، تتفاعل مع قيود أخرى يضعها المخطط العام للجسد، والخصائص الميكانيكية لبناء المواد، وعوامل أخرى تتدخل في «تقييد التغيرات الممكنة للبنيات والوظائف» في النمو التطوري (1982: 21)، وتقدم «القيود الهندسية» التي «تقيد مجال التلاؤم وقناة النماذج التطورية» (إروين 2003: Erwin 1683). أفضل الوجوه المعروفة التي وهبت معظم أعمالها لهذه القضايا هما درسي طومسن وألان تورين D'Arcy Thompson and Alan Turing، اللذان تبنيا وجهة نظر قوية عن الدور المركزي لمثل هذه العوامل في علم الأحياء. في السنوات الأخيرة، قُدّمت هذه الاعتبارات بالنسبة لفئة عريضة من المشاكل المتعلقة بالنمو والتطور، من انقسام الخلية في البكتريا إلى تحسين بنية ووظيفة الشبكات اللحائية، وحتى بالنسبة للاقتراحات التي تقول إن الأجهزة العضوية تملك «أفضل الأدمغة الممكنة» كما بين

5. انظر بويكس وهورنستين Boecks and Hornstein (2003) في خصوص التعليق على هذا في المجال اللساني. وفي خصوص نقاش عام أكثر، انظر جنكنز Jenkins (2000).

6. انظر ستيوارت Stewart (1998) في مراجعته لبعض هذه القضايا.

ذلك عالم الأعصاب الحاسوبي كريستوفر شرنيك (1995: 522) Christopher Cherniak[7]. توجد المشاكل على تخوم البحث، لكن لا أحد يشك في أنها ذات معنى.

إذا سلمنا بأن الملكة اللغوية تملك الخصائص العامة لأنساق أحيائية أخرى، فينبغي علينا، إذن، أن نبحث في ثلاثة عوامل تتدخل في نشوء اللغة عند الأفراد:

(1) التجهيز الوراثي، الذي يبدو أنه موحد عند جميع الأنواع، والذي يؤول جزءا من البيئة بوصفها تجربة لغوية، وهي عملية مجدية يقوم بها الطفل بشكل منعكس وتقوم بتحديد السير العام لنمو الملكة اللغوية. ويمكن أن يضع بعضُ من العناصر الوراثية حدودا حاسوبية تختفي بطريقة عادية عبر النضج المحدد زمنيا بشكل وراثي. وقد أقام كنيث وكسلر Kenneth Wexler وزملاؤه برهانا مقنعا على وجودها في نشوء اللغة، وعليه، قدم وكسلر (في بحث قادم) البرهان التجريبي على مايسميه «حلم لينبرك».

(2) التجربة، التي تقود إلى التنوع، ضمن طبقة ضيقة إلى حد ما، كما هو الحال في الأنظمة العضوية للقدرة الإنسانية وللنظام العضوي بشكل عام.

(3) مبادئ غير خاصة بالملكة اللغوية.

يملك العامل الثالث أنماطا فرعية عديدة: (أ) مبادئ تحليل المعطيات التي يمكن أن تستعمل في اكتساب اللغة وفي مجالات أخرى؛ (ب) مبادئ الهندسة البنيوية وقيود النمو التي تتدخل في التَقنية والشكل العضوي والعمل على مستوى واسع، بما في ذلك مبادئ النجاعة الحاسوبية التي يتوقع أن يكون لها معنى خاص في الأنساق الحاسوبية مثل اللغة. والطبقة الفرعية الثانية هي التي ينبغي أن تحظى بمعنى خاص في تحديد طبيعة اللغات التي يتم الوصول إليها.

افترض الذين خاضوا في دراسة هذه المسائل على امتداد خمسين سنة أن الخطوة الأولية لتحليل التجربة اللغوية كان ينبغي أن تكون تحليلا صوتيا مبنيا على السمات، على غرار الوصف الذي قام به ياكوبسن وزملاؤه (انظر ياكوبسن، فانت وهال 1953). لقد حاولنا أيضا أن نبرز أن الخصائص التطريزية الأساسية تعكس البنية التركيبية التي تحددها مبادئ أخرى، تتضمن على نحو حاسم مبدأ عن سلكية الحوسبة تمّ توسيعه في السنوات اللاحقة على نحو عام جدا (انظر شومسكي، هالي ولاكوف 1956). وينبغي أن تقدم المبادئ الأولية كذلك ما سماه جورج ميلر التقطيع («chunking»)، أي تحديد الكلمات الصواتية في سلسلة الوحدات الصوتية. وتبنيت في ب م ن ل (ص. 165) اقتراح زيليغ هاريس (1955)، في إطار مختلف، لتحديد الصرفيات بواسطة الاحتمالات العابرة، على الرغم من أن الصرفيات لا تملك خاصية خَرزات في عقد. إن المشكل الأساسي، كما أشير إليه في ب م ن

7. انظر كذلك لوكلين وسينوفسكي (2003) Laughlin and Sejnowsky، وشيرنيك وآخرين (2004)، ومجلة (2004) Physics News Update في تقرير عن هوارد، روتنبرك، ودي فيت Howard, Rutenberg, and De Vet.

ل، هو أن نبين أن المناهج الإحصائية للتقطيع يمكن أن تصلح لمتن واقعي. انقلبت تلك الأمنية إلى وهم، كما بين ذلك حديثا طوماس كمبل وشارلز يانك (Thomas Gambell and Charles(2003 Yang ، اللذان استمرا في الإشارة إلى أن هذه المناهج، مع ذلك، تقدم بالفعل نتائج معقولة إذا طبقت على مواد محللة سلفا بواسطة المبادئ التي يبدو أنها خاصة باللغة والقاضية بأن كل كلمة لها نبر أولي واحد. إذا كان الأمر كذلك، فإن الخطوات الأولى لتوليف التجربة اللغوية يمكن رصدها بواسطة المبادئ العامة لتحليل المعطيات التي تنطبق على التمثيلات المحللة سلفا بواسطة المبادئ الخاصة بالملكة اللغوية، وهذا هو نوع التفاعل الذي ينبغي أن نتوقع وجوده بين العوامل الثلاثة.

افتُرِض في ب م ن ل أن الخطوة الموالية كانت هي إسناد الوحدات المُقتَطعة إلى البنيات التركيبية بواسطة مبادئ عامة لتحليل المعطيات كذلك. وقد جُرب اقتراح ذو نكهة نظرية معلوماتية بواسطة الحساب اليدوي في ذلك العصر السابق للحاسوب، أفرز نتائج دالة، لكن المسألة لم تتابع، فيما أعلم. بالتأكيد، ما كان يسمى «خصائص دلالية» أخذ كذلك بعين الاعتبار، لكن هذه الخصائص تستدعي قضايا ذات جدوى على المستوى الأولي جدا، كما أشرنا من قبل. وكان افتراض ب م ن ل هو أن المستويات العليا من الوصف اللساني، بما في ذلك الصرفيات، تحدد بواسطة صورة عامة لنسق من القواعد يقدمها النحو الكلي (ن.ك)، ويتم الانتقاء داخلها بواسطة إجراء حاسوبي يبحث عن التحقيق الأمثل، وهو مفهوم تم تحديده بواسطة مبادئ ذات تعميم دال تنتمي إلى النحو الكلي. لقد قدمت آنذاك وفي السنوات الموالية اقتراحات خاصة، قامت مبدئيا بتقديم جواب ممكن لما أصبح يدعى آنذاك «بالمشكل المنطقي لاكتساب اللغة»، لكنها كانت تتطلب حسابا فلكيا، ولذلك لم تعالج المشاكل على نحو جاد.

لقد كان الاهتمام الأبرز في تلك السنوات مختلفا شيئا ما، كما هو الحال عليه الآن. كان هناك افتراض شائع منذ خمسين سنة خلت، قد يصعب التمسك به اليوم، يقضي بأن التكنلوجيا الأساسية للوصف اللساني كانت موجودة وأن التنوع اللغوي كان حرا إلى حد أنه لم يكن من المحتمل اكتشاف شيء ذي عمومية كبرى. وقد كانت هناك مجهودات لتقديم تفسيرات واضحة إلى حد ما لخصائص اللغات، إلا أنه اتضح أن ما كان معروفا كان ضئيلا، في أي مجال. وكان كل اقتراح خاص يتطلب اكتشافا ثمينا من الحجج المضادة، التي تتطلب نسقا معقدا ومتنوعا من القواعد ولو للاقتراب المحدود جدا من الكفاية الوصفية. لقد كان هذا حافزا كبيرا للبحث في اللغة، لكنه خلف كذلك مأزقا كبيرا، بحكم أن الاعتبارات الأكثر أولية نتج عنها أن ن.ك ينبغي أن يضع مجموعة ضيقة من القيود على الخروج الممكنة- وكان يسمى هذا الضرب من القضايا بمشاكل «فقر المنبه» في دراسة اللغة، رغم أن المصطلح مضلل لأن هذا مجرد حالة خاصة من قضايا أساسية برزت على نحو كلي بالنسبة للنشوء العضوي.

لقد اتبعت مسارات عديدة لحل هذا الصراع. وتَمَثَّل المسار الأكثر نجاحا في المجهودات التي قدمت لصياغة مبادئ عامة أُسندت إلى ن.ك-أي الاستعداد الوراثي-وتُركت بقايا من الظواهر المختزلة الناتجة عن التجربة إلى حد ما. لقد تجسدت الاقتراحات الأولى في مبدأ أ-على-أ، والقيود

على نقل المركبات الاستفهامية والصلّية، وتبسيط الواسمات التحويلية بإرجاعها إلى التكرار القاعدي (تَبَعا لملاحظات شارلز فيلمور Charles Fillmore) والسلكية (وهي موضوع معقد، كما بين ذلك روبرت فريدن (1978) في بحث هام، وقام هوارد لاسنيك بمراجعته على نحو نافذ في بحث حديث سينشر لاحقا، حيث بينٌ أن قضايا عديدة مركزية بقيت بدون جواب)، وظهرت فيما بعد دراسة روس (1967) Ross الكلاسيكية التصنيفية [لقيود] الجُزُر التي مازالت تعد خزانا غنيا من الأفكار والملاحظات المُحتاجة للاستكشاف، والتي حاولت إرجاع الجزر إلى بعض الخصائص مثل المَحَلّية والمحافظة على البنية وغير ذلك. كان لهذه المقاربات بعض النجاح، لكن الصراعات الأساسية بقيت بدون حل في زمن ندوة 1974.

خلال سنوات قليلة، تغير المشهد بشكل كبير. ويعزى هذا جزئيا إلى التقدم الكبير الذي حصل في مجالات لم تكن إلى حد الآن مستكشفة إلا بطرق محدودة، بما في ذلك دلالةُ النماذج النظرية ودلالة نظرية الصدق والبنيات التطريزية. وكان ذلك في جزء منه نتيجة مجموعة كبيرة من الدراسات تميزت بعمق أكبر من السابق وبتنوع كبير في اللغات، ويعود جزء هام من هذا إلى أعمال ريشار كين Richard Kayne ومحاضراته بأوروبا، التي ألهمت البحث المتعمق في اللغات الرومانية والجرمانية، كما أدت دراسة لغات أخرى لاحقا إلى أفكار مثمرة عديدة عن مبادئ ن.ك. بعد حوالى 25 سنة خلت تجسد معظم هذا العمل في مقاربة مختلفة جذريا للنحو الكلي، مقاربة المبادئ والوسائط التي قدمت لأول مرة الأمل في تجاوز الصراع بين الكفاية الوصفية والكفاية التفسيرية. لقد سعت هذه المقاربة إلى التخلص كليا من صورة إطار العمل السابق، والتخلص من التصور التقليدي للقواعد وللتراكيب الذي كان سائدا في النحو التوليدي. وقد قاد إطار المبادئ والوسائط إلى انفجار في البحث في لغات من نمطيات متنوعة جدا، وأدى ذلك إلى ظهور مشاكل لـم تكن متصَوٌرة من قبل، وأحيانا إلى بعض الإجابات، وبعث روح الجدية في المباحث المجاورة المهتمة بالاكتساب والمعالجة، وأعيدت صياغة القضايا التي تقودها في إطار تثبيت الوسائط داخل نسق ثابت من مبادئ ن.ك ضمن محيط منظور على الأقل. وهناك مسارات بديلة، متداخلة بشكل مختلف، سارت في نفس الاتجاه، من ضمنها عمل مايكل برودي الهام جدا (1995، 2003) Michael Brody. ولا أحد ممن يعرفون هذا الحقل من المعرفة يملك أدنى وهم اليوم بأن آفاق البحث واضحة في أي مجال.

لقد كان أيضا للتخلص من صورة إطار العمل السابق تأثير دال في برنامج اللسانيات الأحيائية. فإذا كان الاكتساب، كما كان مفترضا من قبل، مسألة انتقاء بين الاختيارات التي يقدمها نسق ن.ك، فإن على هذا النسق إذن أن يكون غنيا وعلى قدر عال من الوضوح، فيسمح نسبيا باختيارات قليلة؛ وإلا فإن الكفاية التفسيرية ستكون بعيدة المنال. إن النظرية اللغوية الفضلى كان ينبغي أن تكون غير مرضية جدا من وجهات نظر أخرى، متضمنةً منظومة مركبة من القيود الخاصة باللغة البشرية التي تقيد التحققات الممكنة. وكان على النظريات المعقولة الوحيدة أن تضع قيودا معقدة على العلائق المسموح بها بين الصوت والمعنى، الخاصة كلها فيما يبدو بالملكة اللغوية. ولم يكن من الممكن النظر في القضية الأحيائية الأساسية للتفسير المبدأ إلا على نحو ضعيف جدا،

وبالتالي، فإن آفاق البحث الجاد في تطور اللغة كانت غير واضحة. وبالطبع، بقدر ما تكون القيود الخاصة باللغة متنوعة ومعقدة، يقل الأمل في وجود تفسير معقول للأصول التطورية للنحو الكلي. هذا بعض من القضايا التي أثيرت في ندوة 1974 وفي أخريات في تلك المرحلة، لكنها تُركت على أنها مشاكل، ظاهريا، لا يمكن حلها.

قدمت مقاربة المبادئ والوسائط آفاقا لحل هذه الصراعات أيضا. وبالقدر الذي تبين فيه هذه المقاربة صحتها، فإن الاكتساب يعد مسألة تثبيت للوسائط وبالتالي ينفصل كليا عن النسق الباقي للنحو: مبادئ النحو الكلي.لم يعد يوجد فاصل تصوري أمام الأمل في أن يختزل ن.ك في صورة أكثر بساطة، وفي أن الخصائص الأساسية للأنساق الحاسوبية للغة يمكن أن يكون لها تفسير مبدأ بدلا من أن يفرض عليها نسقا للأنحاء خاص باللغة وعالي التقييد. فداخل مقاربة المبادئ والوسائط، ما كان يعد في السابق النظرية الأسوأ -أي شيء جائز- أصبح من الممكن أن ينتمي إلى مجال التصور على الأقل، بحكم أنه لم يُدحض بعد على الفور بواسطة جعله الاكتساب مستحيلا. لنَعُد إلى العوامل الثلاثة في تصميم اللغة. لقد ساهم تبني إطار المبادئ والوسائط في تجاوز حاجز تصوري صعب أمام تحويل عبء التفسير من العامل الأول، أي الاستعداد الوراثي، إلى العامل الثالث، أي المبادئ المستقلة عن اللغة لمعالجة المعطيات، والهندسة البنيوية، والنجاعة الحاسوبية ، عبر تقديم بعض الإجابات عن الأسئلة الأساسية لعلم أحياء اللغة، وطبيعة واستعمال اللغة، وربما حتى تطورها.

لقد لاحظ لوجي ردزي (في حديث خاص)، أقوم بشرحه هنا، أن الاستغناء عن النظرة المبنية على التراكيب في الأعمال الأولى (والتقليدية) كان له نتائج إضافية بالنسبة للبرنامج الأحيائي اللساني. ففي إطار العمل الأول، ليست فقط القواعد ولكن أيضا مبادئ ن.ك كانت مصوغة بناء على التراكيب النحوية (قيود الجزر، قيد الفاعل المخصّص، وقيود وعمليات أخرى، فرضية المحافظة على البنية لإمندز، المصافي، إلخ.)، لقد كانت كلها خاصة باللغة، بدون أدنى نظير في أنظمة أحيائية أخرى. أما داخل إطار المبادئ والوسائط، فإن المقومات الحاسوبية الأساسية تملك قدرا كبيرا من التجريد (المحلية، البحث الأدنى، التكرار القاعدي، إلخ.)، وأصبح من المعقول البحث عن التفسير المبدأ في إطار يمكنه أن يتجاوز اللغة، وكذلك خصائص متصلة بها في أنساق أخرى.

يتضمن العامل الثالث، كما سبق أن أشرنا، نوعين من المبادئ: (أ) معالجة المعطيات، و(ب) قيود النمو الهندسية/الحاسوبية. لنتفحص الطبقة الأولى. ففي الإطار العام للمبادئ والوسائط، يؤول اكتساب اللغة في إطار تثبيت الوسائط؛ ومن ثمة، على نظرية للاكتساب أن تبحث عن إقامة الآليات المستعملة لتثبيت القيم الوسيطية. ويتطلب هذا فهما لمعرفة ما هي الوسائط، وكيف تنتظم، ربما داخل بنية سُلّمية حيث كل اختيار لقيمة معينة يقوم بتقييد الاختيارات اللاحقة. المقاربة الأكثر تأثيرا من هذا النوع، فيما أعلم، هي مقاربة مارك بيكر (2001) Mark Baker. واقترح شارلز يانك (2002) Charles Yang مقاربة مختلفة إلى حد ما، في إطار المبادئ والوسائط كذلك. يقترح يانك، مطورا بعض اقتراحات طوماس روبر Thomas Roeper، أن ن.ك يقدم وليدا يحمل المنظومة الكاملة للغات الممكنة، مع جميع القيم الوسيطية، وتقوم التجربة القادمة بتحويل التوزيع الاحتمالي على اللغات

في اتساق مع وظيفة للتعلم قد تكون عامة إلى حد ما. وفي كل مرحلة، فإن جميع اللغات تكون في المتناول، لكن فقط بالنسبة للقليل منها توجد احتمالات عالية وكافية تجعلها ممكنة الاستعمال فعلا. إنه يقدم حججا تجريبية هامة جدا لدعم هذه المقاربة، التي تنقل المقترحات الأولى عن المبادئ العامة لمعالجة المعطيات إلى مستوى جديد متطور.

لننظر فيما يلي إلى مبادئ الهندسة البنيوية والنجاعة الحاسوبية، أي إلى الطبقة الفرعية من العامل الثالث في تصميم أي نسق أحيائي يُتوقع أن يخبرنا بشكل خاص عن طبيعته. بتجاوزنا للحواجز التصورية التي كانت تضعها صورة إطار العمل السابق، لم نعد في حاجة إلى افتراض أن طرق توليد العبارات المُبْنْيَنة جيدةُ التنظيم وخاصةً باللغة. يمكننا أن ننظر بشكل جاد إلى إمكان اختزالها إلى مبادئ مستقلة عن اللغة، وإلى ما إذا كانت هناك عناصر مماثلة لها في مجالات وأنظمة عضوية أخرى. يمكننا، باختصار، أن نحاول تدقيق السؤال عن ما يمثل تفسيرا مبدأ لخصائص اللغة، وننتقل للأسئلة الأكثر أساسية لعلم أحياء اللغة: إلى أي حد تقترب اللغة من حل أمثل للقيود التي ينبغي أن تستوفيها لكي تصبح قابلة للاستعمال، آخذين في الاعتبار وجود هندسة بنيوية خارجية؟ تعود بنا هذه القيود إلى التخصيص التقليدي للغة، منذ أرسطو، على الأقل، بوصفها نسقا يربط الصوت بالمعنى. وبمصطلحاتنا، ينبغي للعبارات التي تولدها اللغة أن تستجيب لنوعين من القيود الوجيهية: تلك التي يضعها النسق الحسي الحركي، وتلك التي يضعها النسق التصوري-القصدي والتي تنتمي إلى القدرة الفكرية الإنسانية وإلى تنوع الأفعال اللغوية.

لنترك جانبا إمكان اعتبار الربط بالصوت مسألة ثانوية، لأسباب ذكرت وفي ضوء الاكتشافات الحديثة عن استقلال الطابع المُوجّهي للغة. يمكن أن ننظر إلى تفسير لخصائص اللغة بوصفه مُمَبْدأ بمقدار إرجاعه إلى خصائص الأنساق الخارجية والاعتبارات العامة للنجاعة الحاسوبية وما شابه ذلك. ومن نافل القول أن نشير إلى أن هذه القيود «الخارجية» مفهومة جزئيا فقط: ينبغي علينا أن نتعرّف القيود التي تطرح المشكل أثناء محاولتنا لحل هذا المشكل. إن مهمة البحث ذات طابع تفاعلي: فتوضيح طبيعة الوجائه والمبادئ الحاسوبية المثلى عبر البحث في معرفة كيف تستجيب اللغة جزئيا للقيود التي تضعها [هذه الوجائه والمبادئ]، ليس غريبا على البحث العقلاني. فعلى نحو مستقل، يمكن دراسة الأنساق الوجيهية في ذاتها، بما في ذلك الدراسة المقارنة التي جرت على نحو منتج إلى حد الآن. ونفس الشيء يصدق على مبادئ الحوسبة الناجعة، التي طبقها على اللغة باحثون عديدون في أعمال حديثة أفرزت نتائج هامة (انظر، على سبيل التمثيل، كولينز Collins (1997)، إبستين Epstein (1999)، إبستين وآخرين (1998)، فرامبتن وكوتمان Frampton and Gutmann (1999)). فمن الممكن إذن، وبطرق مختلفة، توضيح وتفحص بعض من المشاكل الأساسية لعلم أحياء اللغة.

ربما من المفيد أن نتذكر أن الحدس القاضي بأن اللغة «جيدة التصميم» في علاقتها بالقيود الوجيهية كان ومازال يملك قيمة استكشافية لسنوات عديدة. ويعود البحث عن مفهوم معقول عن «بساطة الأنحاء» إلى الدراسات الأولى للنحو التوليدي في أواخر الأربعينيات. وقد بُرهن كذلك على

امتداد السنين أنه من المفيد معرفة ما إذا كان الحشو الظاهري للمبادئ حقيقيا أو يشير إلى وجود خطأ في التحليل. المثال المعروف جيدا عن هذا هو الصور المبنية للمجهول لتراكيب الوسم الاستثنائي للإعراب، التي بدت في وقت من الأوقات أنها تولد بواسطة تحويل الصعود وتحويل البناء للمجهول. وعدم الرضى عن مثل هذه القيود المتداخلة قاد إلى فهم أن التحويلات غير موجودة: ما يوجد هو فقط قاعدة تحويلية عامة، يمكن أن ننظر إليها الآن على أنها ضرورة تصورية افتراضية. وقد اقترحت الأعمال الحديثة جدا أن القيود الخاصة ظاهريا باللغة مثل المصفاة الإعرابية لجون روجي فرنيو Jean-Roger Vergnaud وما انحدر منها من قيود يمكن ردها أيضا إلى الضرورة التصورية الافتراضية، مثل تأويلية التراكيب في المستوى الوجيهي، في هذه الحالة، وهي قضايا راجعها وطورها مؤخرا فريدن وفرنيو (2001). إن الحدس القاضي بأن الحشو في البنية الحاسوبية يوحي بشيء من الخطأ، قد برهن عن أنه منتِج وغالبا ما تم التحقق منه، مشيرا إلى أن شيئا أعمق هو المسؤول، وهذه مسألة مفتوحة أمام البحث المباشر بعد أن قام إطار المبادئ والوسائط برفع الحواجز التصورية.

لكي نتقدم أكثر، بشكلٍ ملموس، دعنا نتفحص النظرية المعيار الموسعة التي غالبا ما يطلق عليها «نموذج-Y»[8]، الذي غُيِّر وطور بشكل كبير لمَّا أعيد بناؤه في إطار المبادئ والوسائط- وعلى الرغم من ذلك ربما ينبغي أن أؤكد مرة أخرى أن الأسئلة الأدنوية التي أعود إليها الآن تطرح داخل أي اتجاه نظري. في بداية التسعينيات نشرت صحبة لاسنيك عملا أوليا اقترحنا فيه فهمنا للنحو الكلي (شومسكي ولاسنيك 1993). لنأخذ ذلك نقطة للانطلاق، سائلين إلى أي حد يمكن مراجعة مسلمات [النظرية المعيار الموسعة] أو الاستغناء عنها لصالح التفسير المبدأ في إطار القيود الوجيهية والمبادئ العامة.

تفترض النظرية المعيار الموسعة وجود ثلاثة مكونات داخلية إضافة إلى المستويات الوجيهية التالية: البنية العميقة والبنية السطحية والصورة الصوتية. يُفترض في المستوى اللساني أنه يضم عمليات خاصة. البنية العميقة، إذن، هي مجال الدمج المعجمي والإسقاط داخل خطاطة س-خط (X-bar)؛[9] والبنية السطحية هي نقطة تحويل الحوسبة إلى وجيهة الصوت، ونقطة الانتقال من العمليات الظاهرة إلى العمليات الخفية؛ والصورة المنطقية هي خرج العمليات الظاهرة والخفية، ودَخْل الربط بوجيهة المعنى. المستويات الداخلية الثلاثة تتطلب خمس عمليات، كل واحدة منها يفترض أنها سلكية: العمليات التي تكوّن البنية العميقة بواسطة العمليات السلكية لنظرية س-خط عبر انتقاء الوحدات المعجمية من المعجم، السلك التركيبي الظاهر من البنية العميقة إلى البنية السطحية، السلك الصّواتي/الصّرفي الذي يربط البنية السطحية بوجيهة الصوت، السلك التركيبي الخفي الذي يربط البنية السطحية بالصورة المنطقية، والعمليات الدلالية الصورية التي تربط الصورة المنطقية

8. المترجم: يشير الحرف الروماني Y إلى شكل بنية النحو التي تملك ثلاثة مكونات، مكونا قاعديا يولد البنى العميقة ومكونين تأويليين، المكون الصّواتي والمكون الدلالي.

9. المترجم: خطاطة س-خط هندسةٌ تحدد البنية الداخلية للمركبات ومستويات الإسقاط التركيبي داخلها.

تأليفيا بوجيهة المعنى. وقد عُدَّ التماثل بين العمليات الظاهرة والخفية إشكاليا أثناء تطور إطار العمل على امتداد 35 سنة خلت، لكن المشكل في الواقع أوسع من ذلك: توجد خمسة أسلاك تعمل بطريقة متماثلة. أحد الأسئلة الحاسمة، إذن، هو معرفة ما إذا من الممكن الاستغناء عن المستويات الداخلية التي لا تستوجبها القيود الوجيهية، واختزال الأسلاك الخمسة في واحد. إذا كان هذا ممكنا، فسيكون خطوة أساسية إلى الأمام، مصحوبة بنتائج عديدة.

من الخصائص الطبيعية للحوسبة الناجعة، تماشيا مع تعميم خارج-لساني، هي العمليات التي تكوّن العبارات المركبة ينبغي أن لا تشتمل على أكثر من إعادة تنظيم للموضوعات التي تنطبق عليها، دون أن تغيرها داخليا بالحذف أو دمج عناصر جديدة. إذا صح هذا، فإنه سيخفف كثيرا العبء الحاسوبي: ما تم بناؤه يمكن «نسيانه» في الحوسبات اللاحقة، فلا يكون بالإمكان تغييره. هذا واحد من الحدوس الأساسية التي تقف خلف مفهوم الحوسبة السلكية. تخرق النظرية المعيار الموسعة ومقاربات أخرى هذا القيد بشكل كبير، بلجوئها إلى مستويات الإسقاط، الآثار، القرائن، وأجهزة أخرى تقوم بتغيير الموضوعات وإضافة عناصر جديدة. وهناك، إذن، سؤال ثان يتعلق بمعرفة ما إذا كان بالإمكان الاستغناء عن كل هذه التكنلوجيا وعن الوقائع التجريبية التي يمكن تقديم تفسير مبدأ لها وفاقا لقيد «اللاتغيير» الذي تقتضيه الحوسبة الناجعة.

هناك أسئلة أخرى تطرح عن تنوع العمليات-بنية المركبات، التحويلات، إعادة البناء، إلخ؛ وعن الثقة الكبيرة في مفاهيم مثل العمل الذي يبدو أنه لا يملك أي مبرر مُبدأ؛ وعن مبادئ عديدة تصعب صياغتها خارج مفاهيم خاصة بالملكة اللغوية. والسؤال العام هو، إلى أي حد يمكن أن نتقدم في إبراز أن كل هذه التكنلوجيا الخاصة باللغة يمكن إرجاعها إلى تفسير ممبدأ، فتُعزل الخصائص الجوهرية التي تعد أساسية للملكة اللغوية، أي المشكل الأساسي للسانيات الأحيائية؟

هناك حقيقة أولية عن الملكة اللغوية تكمن في أنها نسق يملك خاصية اللامتناهية المنفصلة (discrete infinity). وأي نسق مماثل ينبني على عملية أولية تأخذ عددا ن (نونيا) من الموضوعات التي تم بناؤها من قبل، وتبني منها موضوعا جديدا: الحالة الأبسط هي تكوين مجموعة من هذه الموضوعات النونية. لنسم هذه العملية ضم (Merge). تعد ضم أو ما يوافقها مطلبا أدنويا. وبوجود ضم، فإننا نحصل فورا على نسق غير محدود من العبارات المبنية سُلَّميا. التفسير الأبسط «للخطوة الكبرى إلى الأمام» في التطور الإنساني قد يكون هو أن الدماغ قد أُعيد نسج خيوطه، ربما بواسطة تحول (mutation) طفيف، للتزود بعملية الضم، واضعا على الفور الجزء الجوهري من الأسس لما وُجد في تلك «الفترة» المثيرة من التطور الإنساني، على الأقل مبدئيا؛ وربط النقط ليس مشكلا عبثيا. هناك تأملات عن تطور اللغة الذي يفترض وجود عملية بالغة التعقيد: أولا، حدوث تحول معين يسمح بعبارات مكونة من وحدتين (متطلبا امتيازا انتقائيا لتجاوز قيود الذاكرة الموضوعة على الانفجار المعجمي)، ثم حدوث تحولات تسمح بعبارات أكبر، وأخيرا الخطوة الكبرى التي نتجت عنها عملية الضم. ربما أخذت الخطوات الأولى مكانها فعلا، لكن هناك فكرة أكثر اقتصادا مفادها أن الخطوات لم تأخذ مكانها، وأن الخطوة الكبرى كانت بالفعل لحظية، لدى فرد واحد زُوِّد في لحظة بقدرات فكرية

تفوق جدا ما لدى الآخرين، ونقلت إلى المنحدرين منه وأصبحت مهيمنة، وربما ربطت بوصفها عملية ثانوية بالنسق الحسي الحركي للإظهار والتفاعل، بما في ذلك التواصل باعتباره حالة خاصة. وهذا تكهن معقول، كما هي جميع التأملات عن مثل هذه الأشياء، لكنها عن أبسط واحد يمكن تصوره، ولا يتعارض مع أي شيء معروف أو متوقع بشكل معقول. في الواقع، من الصعب أن نجد شيئا يفسر التطور الإنساني لا يسلم على الأقل بهذا القدر، بشكل أو بآخر.[10]

تبرز أسئلة أخرى مماثلة عن نشأة اللغة عند الفرد. هناك افتراض شائع مفاده أن هناك مرحلة كلمتين ومرحلة ثلاث كلمات، إلخ.، مع وجود خطوة كبرى نهائية إلى الأمام نحو التوليد غير المحدود. ويلاحظ هذا في الإنجاز، لكن يلاحظ كذلك أن الطفل في مرحلة أولى يفهم عبارات أكثر تعقيدا، وأن التغييرات العشوائية لعبارات أطول-حتى التغييرات البسيطة مثل وضع وظائف الكلمات بطريقة غير متوافقة مع ن.ك أو لغة الكبار-تقود إلى الغموض وسوء التأويل. وقد يكون الضم غير المحدود، وأي شيء آخر يعمل داخل ن.ك، حاضرا على الفور، لكنه يظهر فقط بطرق محدودة لأسباب خارجية (الذاكرة ومحدودية الانتباه، وما شابه ذلك)؛ وهذه أشياء نوقشت في ندوة 1974 ويمكن الآن مناقشتها على نحو أكثر وضوحا، كما هو الحال مثلا في الإطارين الذين طورهما وكسلر ويانك، كما أشرنا في السابق.[11]

لنفترض، إذن، أننا نتبنى الافتراض الأبسط: تستلزم الخطوة الكبرى إلى الأمام الضم. عندئذ، يصبح السؤال الأساسي لعلم أحياء اللغة المذكور آنفا، إذن، هو ما هو الشيء الآخر الذي يعد خاصا باللغة؟

هناك حالتان فرعيتان لعملية الضم، باستثناء إذا أضفنا شرطا معينا. في ضوء وجود أ، يمكننا ضم ب إليها من خارج أ أو من داخل أ؛ هذان هما الضم الخارجي والضم الداخلي، تسمى العملية الأخيرة «انقل»، التي لذلك أيضا «تأتي حرة»، مستدعية خاصية النقل المعروفة التي تتميز بها اللغة. لقد نُظر إلى هذه الخاصية لمدة طويلة، وخصوصا من قِبَلي، بوصفها «نقيصة» داخل اللغة ينبغي تفسيرها بشكل من الأشكال، لكنها في الواقع ضرورة تصورية افتراضية؛[12] ويبدو أن صيغة معينة من النحو التحويلي تشكل الافتراض الفارغ، وأي آليات أخرى، تتجاوز الضم الداخلي، تتحمل عبء البرهان. إذا سلمنا بصحة قيد اللاتغيير الذي يقلص العبء الحاسوبي، فإن نوعي الضم إلى أ لن يغيرا أ. وهذا يستلزم الضم إلى الربض، أي «قيد التوسيع»، الذي يمكن فهمه بطرق مختلفة،

10. لمناقشة هذه الأشياء في إطار أوسع، انظر هوسر وشومسكي وفيتش Hauser, Chomsky, and Fitch (2002)، ولمزيد من التوسع المثير في المجال، انظر بلمريني وأوريجريكا (ينشر لاحقا) Piattelli-Palmarini nand Uriagereka.

11. برهن ردزي (ينشر لاحقا) أن قيود الإنجاز تتفاعل مع مبادئ ن.ك: عدم الانسجام مع اللغة الهدف في الإنتاج اللغوي المبكر يقوم على أساس نحوي، بتثبيت الوسائط واحترام المبادئ، لكنه يتحكم فيه الإنجاز إلى حين نضج نسق الإنتاج. وهذا المنطق مماثل لما نجده عند كمبل ويانك (2003) ووكسلر (ينشر لاحقا).

12. الاختيارات التي «تأتي حرة» يمكن، بالطبع، أن لا تستعمل مثلا في الأنساق الرمزية المُبتكَرة المرتبطة بالضم الخارجي-ربما لأنها غير مطالبة بأن تستعمل الخصائص الربضية التي ترتبط بالخطاب على نحو نمطي.

بما في ذلك نظرية الإقحام عند نورفن ريشار (Norvin Richards (2001، التي تعد طبيعية في إطار المسبار-الهدف في الأعمال الحديثة، والتي يمكن أيضا تأويلها لتلائم إلحاق الرأس.

يستلزم قيد اللاتغيير أيضا ما يسمى بنظرية النسخة المتعلقة بالنقل، التي لا تغير العناصر التي تنطبق عليها، والتي تكوّن موضوعا موسعا. فلما بدأت عمليات النقل في الظهور مع التطورات التي لحقت إطار ب م ن ل المعقد، افترُض أنها ينبغي أن تجمع بين النقل والحذف بسبب الهندسة العامة للنسق. في هندسة النظرية المعيار الموسعة كان ذلك غير ضروري، لكن لما تجلت بوضوح آثار الموقع الذي يتركه النقل، افترُض أن العملية تترك أثرا، وهو موضوع جديد مربوط بالعنصر المنقول؛ ولذلك، فإن الموضوعات التي تخضع لعملية النقل يتم تغييرها، وتدخل عناصر جديدة، ويتم بذلك خرق القيود الأولية للحوسبة المثلى. وكان ذلك خطأ، من جانبي في هذه الحالة. لسنا في حاجة لا إلى مفهوم القرن ولا إلى مفهوم الآثار إذا تبنينا المسلمات الأكثر بساطة: نظرية النسخة. وهناك ربح إضافي هام يتمثل في أن قواعد إعادة البناء يمكن الاستغناء عنها، ويمكن تفسير الظواهر بشكل فعال أكثر، كما تبينٍ ذلك من خلال قدر كبير من الأعمال الحديثة.

يترك النقل نسخة، ربما نسخا عديدة، تحول كلها إلى المكون الصواتي. وإذا جعلنا اللغة مثلى لغرض النجاعة التواصلية، يمكننا أن نتوقع أن تُهَجّى النسخ كلها: وهذا يمكنه أن يتجاوز العديد من مشاكل ملء الثغرات التي تواجهها نماذج المعالجة. وإذا جعلنا اللغة مثلى لأجل إرضاء القيود الوجيهية، بحوسبة أدنوية، فإن نسخة واحدة فقط ستُهجّى، وبذلك ستختزل الحوسبة الصواتية بشكل حاسم. الحالة الأخيرة هي المأخوذ بها، وهي واحدة من الأسباب التي تشكك في أن التأملات التي أوردناها في البداية عن تصميم اللغة وتطورها تسير في الاتجاه الصحيح. أي نسخة تهجى؟ هناك أفكار عديدة في هذا الشأن. أكثرها إقناعا، في رأيي، فكرة جون نيسنبوم (Nissenbaum (2000 John المصوغة في إطار نظرية المرحلة التي سأعود إليها. ففي مستوى المرحلة، تنطبق عمليتان: حَوِّل إلى الوجيهة، وضُمّ، إما في الظاهر أو في الخفاء. إذا سبق الضم الداخلي العملية حوِّل، فإن النقل يكون ظاهرا، وإلا فإنه يكون خفيا. وإذا كان النقل خفيا، فإن العملية تكون قد هجت سلفا النسخة السفلى؛ وإذا كان النقل ظاهرا، فإن الاختيار يؤجل إلى المرحلة الموالية. لقد أشار جيليكو بوشكوفيش (Zeljko Bošković (2001 إلى أنه ينبغي أن يكون هناك استثناء لمثل هذه الحوسبة الأدنوية إذا كانت وجيهة الصوت تتطلب تهجية جزئية للنسخة، وقد أتى بأمثلة هامة. وهناك مثال مختلف اكتشفه إيدان لاندو (ينشر لاحقا) يتمثل في أن تصدير المركب الفعلي في العبرية يترك أحيانا الفعل خلفه، خصوصا، عندما يجب عليه أن يستجيب لما كان يسميه لاسنيك «مصفاة اللاصقة التائهة»، وهو قيد صوتي على اللواصق.[13] إذا كانت هذه هي الاستثناءات الوحيدة، فإن الحوسبة التركيبية والصواتية، إذن، ناجعة على نحو أمثل، على الأقل في هذا المجال.

---

13. يقدم لاندو صياغة مختلفة إلى حد ما.

يبدو أن الضم بنوعيه يتعالق على نحو وثيق مع الخصائص الوجيهية، راصدا جزءا كبيرا من المظهر الثنائي للدلالة الذي بدا أكثر وضوحا في الستينيات في عمل راي جاكندوف (1969) Ray Jackendoff، وبيتر كوليكوفر (1970) Peter Culicover، ولول ينكنز (1972) Lule Jenkins، وآخرين، والذي كان يعبر عنه أحيانا بالتأويل العميق والتأويل السطحي. يتعالق الضم الخارجي مع البنية الحملية، والضم الخارجي مع الخصائص الربضية، كما يرتبط بالحيز والخطاب (المعلومات الجديدة والمعلومات القديمة، الموضع، إلخ.). والتعالق ليس كاملا، على الأقل في السطح لكنه قريب بما يكفي لكي يوحي بأن الخروقات الظاهرة ينبغي أن تدخل ضمن مبادئ أوسع. فبالنسبة للضم الخارجي، فإن هذه المبادئ تتجاوز البنية الحملية المرتبطة بالمقولات الجوهرية، ومن المحتمل أنها تضم المقولات الوظيفية من النمط الذي كشفت عنه مجموعة متنوعة من الأبحاث، وخصوصا مشاريع الخريطة (cartography) المثمرة جدا (شينكوي (2002) Cinque، وردزي (2004)، وبلليتي (2004)).[14]

يقدم الضم الخارجي ما كان يعرف «بالبنى القاعدية» في النظرية المعيار الموسعة وفي الاقتراحات الأولى. فبما أن البنى مبنية بشكل متواز، فإنه لا يوجد مكان للدمج المعجمي. ولذلك، فإن مفهوم البنية العميقة ليس نافلا فقط، ولكنه غير قابل للصياغة، وهذه نتيجة بالغة التأثير ومرغوب فيها. وإذا كانت البنيات القاعدية لا تتطلب أكثر من الضم، فإن مستويات الإسقاط يمكن أيضا الاستغناء عنها، وفي هذا تطوير لأفكار ناوكي فوكوي (1986) Naoki Fukui ومركريت سبيز (1986) Margaret Speas عن «البنية التركيبية» التامة. وبتقدمنا أكثر، وفاقا للمسار الذي سأعود إليه بإيجاز، فإن البنية السطحية والصورة المنطقية يبدو أنهما أيضا غير قابلتين للصياغة، وبذلك نحتفظ فقط بالمستويين الوجيهين، وهذه نتيجة مثلى.

يفقد التمييز مخصص–فضلة معناه المستقل، باستثناء أن فضلة الرأس ر ينبغي أن تكون المجال الوحيد الذي يوجد في متناول العمليات التي يحركها الرأس، بواسطة قيود البحث الأدنى، وهي الخاصية الجوهرية للتحكم المكوني، لكن ينبغي التخلي عن علاقتي التحكم المكوني الأقصى ومخصص–رأس (باستثناء إذا كان المخصص رأسا، وبذلك يكون مسبارا ممكنا)، وهذه نتيجة تجريبية قوية وخلافية متعلقة بالبحث الأدنى. إن «الفضلة» و«المخصص» هما مجرد بديلين اصطلاحيين للضم الأول والضم المتأخر. ويتطلب إقصاء تعدد المخصصات شرطا معينا، ومن ثمة تبريرا تجريبيا. ويبدو لي أن الحجة التجريبية تترك الافتراض الفارغ قابلا للحياة، ربما لأنه يملك ما يدعمه، رغم أن المسألة مازالت تثار بشكل كبير.

يتضمن كل موضوع مولِّد معلومات واردة بالنسبة لحوسبة أخرى. وبشكل أمثل، فإن هذا سيتم الحصول عليه كليا بعنصر معين واحد، ينبغي أيضا أن يعاين داخل البحث الأدنى: أي بواسطة عنوانه، إذ أن العنصر «يُسقط» في إطار نظرية س–خط. إن العنوان، الذي سيكون دائما وحدة معجمية

14. المترجم: تندرج هذه المشاريع في إطار رسم الخريطة التركيبية لبنية الجملة وبنية المركبات وتحديد طبيعة وعدد المقولات، المعجمية والوظيفية، التي تضمها هذه الخريطة.

تُدرج بواسطة الضم الخارجي، ينبغي أن يكون المسبارَ الوحيد للعمليات داخل الموضوع التركيبي، والعنصرَ الوحيد المنظور لحوسبات أخرى. نتمنى أن تحدد العناوين بواسطة خوارزم طبيعي، ربما حتى بطرق ذات تأثير كبير كتلك التي اقترحها كريس كولينز (2002) Chris Collins في تحليله الخالي من العناوين. وهنا أيضا قام باحثون عديدون بتفحص هذه الإمكانات المثلى بشكل كبير في الأعمال الحديثة، داخل مسارات مختلفة، لكنها مع ذلك متعالقة.

لاحظ أن العناوين، أو ما يناظرها، هي أعز ما يطلب، في الافتراض الضعيف القاضي بأن الحوسبة الإضافية تحتاج على الأقل إلى معلومة معينة عن الموضوع التركيبي، للبحث داخله ولأجل دوره الخارجي. تثوي العَنْونة خلف عدد من اللاتناظرات: مثلا، في تركيب من نمط رأس-م.س (head-XP) [15]، العنوان دائما هو الرأس و م.س يدخل في علاقة «تبعية»؛ فبالنسبة للرؤوس الجوهرية، [يدل م.س] على موضوع يحمل دورا دلاليا يسنده إليه الرأس. وعليه، فإن مثل هذه اللاتناظرات لا تحتاج إلى أن تخصص في الموضوع التركيبي نفسه، ولا ينبغي لها ذلك، لأنها حشوية. تشكل بنية رأس-فضلة مجموعة لا زوجا مرتبا. وهناك أمثلة عديدة مماثلة.

هناك لاتناظر آخر تفرضه وجيهة الصوت يتمثل في أن الموضوع التركيبي المشتق يجب أن يكون خطيا. وينبغي، بشكل أمثل، أن تُحصر الخطية في ربط الموضوع بالوجيهة الحسية الحركية، حيث تقتضيها أغراض خارج اللغة. وإذا صح هذا، فإن باقي الحوسبة التركيبية لا يتطلب أي ترتيب: التركيب الضيق والربط بوجيهة التصور-القصد. وقد كان ذلك هدفا للبحث على امتداد 25 سنة على الأقل، منذ عمل طانيا رينهارت (1979) Tanya Reinhart عن التحكم المكوني، ويبدو هذا على الأقل خلاصة معقولة، رغم أن النتائج محدودة إلى حد ما وغير متوافقة مع بعض الأعمال الهامة جدا: أبحاث داني فوكس وجون نيسنبوم عن صعود السور، وحذف السابق المتضمن، والضم المتأخر للملحقات (انظر مثلا فوكس 2002 وفوكس ونيسنبوم 1999). لكن أظن أن هناك سببا للتشكيك في أنه يمكن الاحتفاظ بالإمكان الأبسط. وتعد معرفة كيف تُرتب الموضوعات التركيبية خطيا موضوعا حيا أيضا. هناك اقتراح سابق يتمثل في وسيط الرأس، ربما يكون عاما، وربما يكون تابعا للمقولة. وتوجد مقاربة مختلفة تستند إلى مسلمة التوافق الخطي لكين، التي ألهمت الكثير من الأعمال المنتجة، بما في ذلك اكتشاف كين (ينشر لاحقا) لثغرات مثيرة في نمطية اللغات، وتفسيره لها. وهناك أفكار أخرى يتم استكشافها. وهناك رغبة شاملة في أن تقدم الخلاصة قليلا من المسلمات التي لا يمكن إرجاعها إلى المتطلبات والقيود الوجيهية للنجاعة الحاسوبية، وفي الحالة المثلى أن لا تقدم شيئا لا يمكن إرجاعه إلى ذلك.

إذا كان الترتيب الخطي محصورا في الربط بوجيهة الصوت، فلا مبرر، إذن، لتكون عملية الضم القاعدية ملزمة بأن تنطلق من الصورة الأكثر بساطة. وكما أشرنا، يمكن أن تشتق لاتناظرات عديدة من التمثيلات التركيبية، ومن خصائص الوحدات المعجمية، ومن المبادئ المستقلة اللازمة

15. المترجم: يدل م.س على مركب مكون من أي مقولة تركيبية، حيث السين المغلظة (= س) متغير مقولي.

للعنونة، ولذلك فإنها لا تحتاج إلى أن تخصص بواسطة العمليات الأولية التي تكوّن التمثيلات التركيبية، ولا ينبغي لها ذلك. وإذا كان هذا كليا، فإن العملية القاعدية ستكون هي أبسط واحدة ممكنة: الضم غير المُبَنْيَن، الذي يكوّن مجموعة.

قد يكون هناك سبب-وأظنه كائنا- لتقديم عملية لامتناظرة للملحقات تصلح أساسا لوظيفة تأليف المحمولات. الاختيار الأولي جدا يتمثل في زوج مرتب، ينبغي، في نقطة معينة، أن يختزل إلى مجموعة لأغراض الخطية. على نحو أمثل، ينبغي أن يكون الاختزال في نقطة التهجية، أي أثناء التحول إلى الوجيهتين. وبتبنينا لهذا الافتراض، يمكننا أن نشتق على الأقل بعض، وربما، كل الخصائص المعقدة لإعادة بناء الملحقات التي درسها روبرت فريدن، وهنك فان رمسديك، وإيدوين ويليمز منذ شومسكي (2004).

قد يكون من المفيد التخفيف من بعض الهواجس التي تظهر في الأدبيات التقنية. ففي إطار الجهاز التقني الأدنوي، فإن موضوعا تركيبيا س معنونا بالعنوان أ يمكن أن يشكل المجموعة {أ، س}، حيث س نفسها تشكل مجموعة {ص، ك}. وإذا كانت أ واحدة من ص، ك، فإن المجموعة {أ، س} ستكون لها الخصائص الصورية لزوج مرتب، كما أشار إلى ذلك نوربت فاينر Norbert Wiener منذ تسعين سنة خلت؛ أي أنها ستكون لها خصائص الأزواج المبنية للملحقات.[16] وبشكل خاطئ، كان يعد هذا الأمر إشكاليا، لكنه ليس كذلك. إن إمكان تقديم تأويل للأزواج المرتبة مبني على نظرية المجموعات، حسب ما يذهب فاينر، ليس له تأثير فيما إذا كانت الأزواج المرتبة موضوعات صورية لها خصائصها الذاتية أو «موضوعات أولية» للحوسبة الذهنية تختلف عن المجموعات، بما في ذلك تلك التي تحدد العنوان.

يتطلب الضم الخارجي عددا نونيا من المكونات، وذلك بدون اللجوء إلى شروط إضافية. ومنذ عمل كين (1981) عن المسارات غير الملتبسة، كان هناك، بشكل عام، افتراض يقضي بأن هذه الوحدات غالبا، وربما دائما، ثنائية. وإذا كان الأمر كذلك، يحسن بنا أن نجد تفسيرا ممبدأ. بالنسبة للضم الداخلي، يستخلص ذلك من القيود الأولية للنجاعة الحاسوبية، داخل إطار مسبار-هدف، على الرغم من أن كيفية اشتغال هذا على نحو دقيق تثير أسئلة هامة،كما تتطلب عملا تجريبيا كبيرا. وبالنسبة للضم الخارجي، فإن أحد المصادر لاستخلاصه يمكن أن يتمثل في قيود البنية الحملية الموضوعة في مستوى الوجيهة التصورية القصدية. وهناك إمكان آخر اقترحه لوجي ردزي (في حديث خاص)، في إطار تقليص البحث في الذاكرة العاملة.

تنطبق الحالة الأكثر تقييدا للضم على موضوع منفرد، مكوّنة مجموعة منفردة. وتقييد هذه الحالة يتطلب الدالة المتعاقبة، التي يمكن أن تطور من خلالها بقية نظرية الأعداد الطبيعية بالطرق المعهودة. ويقدم هذا جوابا ممكنا للمشكل الذي شغل والاص على امتداد قرن خلا. يقول والاص:

16. التعريف المعيار الذي يقدمه فاينر-كوراطوفسكي Wiener-Kuratowski للزوج المرتب مختلف إلى حد ما، كما يشير إلى ذلك لاسنيك، معتبرا <أ، ب> = { {أ}، {أ، ب} }. كان اقتراح فاينر الأصلي أكثر تعقيدا.

إن «التطور الكبير للقدرة الرياضية غير مفسر بشكل شامل بواسطة نظرية الانتقاء الطبيعي، وينبغي أن يعود هذا لسبب مختلف تماما»، إذا كان فقط بسبب أنها بقيت غير مستعملة. إحدى الإجابات الممكنة تتمثل في أن الأعداد الطبيعية تنتج عن قيد بسيط على القدرة اللغوية، لذلك فإنها ليست هبة من قبل الله، حسب القول المأثور عن كرونيكر Kronecker، رغم أن الباقي هو من خلق الإنسان، كما يقول كرونيكر متابعا. إن التأملات في أصل القدرة الرياضية باعتبارها تجريدا صادرا عن العمليات اللغوية ليس أمرا غير مألوف. وتبرز في هذا الصدد بعض المشاكل، من ضمنها الفصل الظاهري بين الجُرْح وتنوع تحديد المكان، غير أن دلالة مثل هذه الظواهر غير واضحة لأسباب عديدة (من ضمنها مسألة الفرق بين امتلاك القدرة واستعمالها). وقد تحمل هذه التأملات شيئا معينا، ربما تماشيا مع ما أشرنا إليه منذ لحظة، بملك الطعم الأدنوي الملائم.

في إطار الافتراضات الضعيفة جدا عن الحوسبة الناجعة، ينبغي أن لا تكون هناك مستويات خارج تلك التي تستلزمها القيود الوجيهية: أي المستويين الوجيهيين نفسيهما. وفي الواقع، ليس من الواضح أنهما يوجدان. وعليه، يمكن أن نتصور عملية حاسوبية ترسل أجزاء من الموضوعات المولِّدة إلى الأنساق الحسية الحركية أثناء الاشتقاق (لِنَقُلْ بعض وليس كل الخصائص الصوتية)، وليس فقط في طوره الأخير؛ والشيء نفسه يحدث في جانب المعنى. وعلى الرغم من أن مثل هذه الاقتراحات لم يبحث من قبل، فيما أعلم، فإنه يمكن أن يصبح صحيحا. وعلاوة على هذا، نود، مع ذلك، أن نحدد ما إذا كانت كل المستويات الداخلية يمكن الاستغناء عنها، باختزال الأسلاك الخمسة لنموذج النظرية المعيار الموسعة في واحد، وهي أسلاك مازالت غير قابلة للصياغة، مثلما هو الحال بالنسبة للبنية العميقة. يمكن استخلاص ذلك إذا اعتمدت الحوسبة فقط على عملية الضم، ربما ضم الزوج وضم المجموعة، التي تنتج موضوعات تركيبية تُحوَّل، في نقطة معينة، إلى المستويين الوجيهيين: غالبا ما يسمى التحويل إلى وجيهة الصوت «بالتهجية». ونسمي الموضوعات التركيبية المحولة «مراحل». في الحالة المثلى، عندما تحول المراحل، فإنها ينبغي أن تربط مباشرة بالوجيهة وبعد ذلك «تُنسى»؛ فالعمليات اللاحقة ينبغي أن لا تحيل على ما تم ربطه في السابق بالوجيهة-ويعد هذا مرة أخرى حدسا أساسيا وراء العمليات السلكية. ولهذا نأمل أن نكون قادرين على إقامة «قيد على انغلاق المرحلة»، يضمن أن يتمكن الربط بالوجائه من أن ينسى ما قام به من قبل، وهذا ادخار جوهري في الذاكرة. ولم تُصَغ مسألة معرفة ما إذا كان هذا مجديا إلا حديثا، كما لم تخض إلا بالنزر القليل من البحث. وتثير المسألة قضايا جادة، لكنها إلى حد الآن على الأقل، لا تطرح مشاكل تبدو مستعصية على الحل.

إذا كانت هذه الأفكار العامة تسير في الطريق الصحيح، فإن كل المستويات الداخلية تعد غير قابلة للصياغة، وبالتالي يمكن الاستغناء عنها بالمعنى القوي. ما يبقى هو فقط المستويات الوجيهية، وتختزل الأسلاك الخمسة لنموذج النظرية المعيار الموسعة في واحد، ينبني على الضم. وهكذا تُستخلص الخصائص السلكية للربط بالوجيهة بدون تعليق. الحوسبة السلكية الخالصة هي أيضا مطلوبة للتفسير الأبسط للسمات غير المؤولة. فهم هذه السمات حشوية، وتحدد بواسطة العلاقة طَابِقْ (Agree) مع

السمات المؤولة. وعليه، ينبغي أن لا تكون مُقَيَّمة في المعجم، وعندما تأخذ قيمة، فيجب أن تعامل «كفيروس»، حسب تعبير خوان أورياجيريكا (1998): ينبغي التخلص منها في أقرب وقت ممكن، أي في مستوى المرحلة، حيث تحول إلى المكون الصواتي لكي تأخذ تحققا صوتيا محتملا، لكنها تحذف من الاشتقاق التركيبي ومن التحويل إلى وجيهة المعنى لتفادي السقوط. وهذه أيضا نتيجة مباشرة للحوسبة المبنية على المرحلة.[17]

لقد انتقلت قضية السمات غير المؤولة إلى مركز الاهتمام منذ اقتراحات فرنيو المتعلقة بنظرية الإعراب منذ 25 سنة خلت، وفي السنوات القليلة الماضية على وجه الخصوص. إن أطروحة فرنيو الأصلية القاضية بأن الإعراب البنيوي يمكن أن يوجد على الرغم من عدم تهجيته حظيت بدعم تجريبي كبير. والصيغة القوية للأطروحة تذهب إلى أن السمات الصرفية كلية، في الحقيقة. وقد طور هالدور سيكورسون (2003) Halldór Sigurðsson بوجه خاص هذه الأفكار كجزء من تحليل شامل لدور هذه السمات، بما في ذلك الإعراب، في الأحداث الكلامية، ولمعالجتها التركيبية الدقيقة.

بما أن نسخة عنصر منتقل تمكث، فإنها مبدئيا تكون في متناول الحوسبات التركيبية الأعلى (وبالدرجة نفسها يمكنها أن تكون في المتناول بشكل أكثر شمولا في وجيهة المعنى، في إعادة البناء). إلى أي حد يسمح بتناولها؟ يبين البرهان إلى حد الآن أن ذلك ضعيف، لكن في حدود علمي، فإن ذلك لا يتجاوز مرحلة واحدة. نعثر على أمثلة لذلك من الإعراب الخاص (Quirky Case) في الإسلندية: المفعول المرفوع الداخلي للمرحلة يمكنه أن يتطابق مع صُرفة خارجية. هذا المثال هام ويستحق بحثا إضافيا، لأنه يبدو أنه يضعف تفسيرا نظريا مرحليا لتحليل معين لفرنيو للفواعل التي لا يمكن أن تظهر عندما لا يمكن إسناد الإعراب، أي أنها تكون «خفية» بسبب أنها تكون داخل مرحلة تم تجاوزها من قبل. في الحالة الإسلندية، المفعول ليس خفيا، رغم أن قيد انغلاق المرحلة، الذي لا يسمح بأي تغيير في المرحلة السابقة، يمنع النقل. وقدم أندرو نيفنز (2004) Andrew Nevins تفسيرا مختلفا يقوم على مادة لغوية غنية ومتنوعة وعلى بعض الافتراضات المختلفة.

ماهي الموضوعات التي تشكل مرحلة؟ ينبغي أن تكون صغيرة بقدر الإمكان، لتقليص العبء الحاسوبي. ولأسباب ذكرت في السابق، فإنها ينبغي أن تضم على الأقل المجالات التي يتم فيها تقييم السمات غير المؤولة، سمات تطابق غير الأسماء والإعراب البنيوي للأسماء. هناك برهان، لن أقدمه هنا، يدل على أن هذه المجالات هي المركب المصدري (م.مص CP) والمركب الفعلي الخفيف (م.ف vP) (يمثل الفعل الخفيف البنية الحملية التامة، بنية متعدية، أو بنى فعلية دالة على الـمُعاني (experiencer)، ويدل على أن هذين المركبين هما المرحلتان الوحيدتان داخل البنى الجملية الجوهرية. قد تضم المراحل المركب الحدي (م.حد) (DP) كذلك، كما يشتغل على ذلك بيتر سفينونيس (2003) Peter Svenonius، مطورا بشكل إضافي التوازي بين م.حد وم.مص.

---

17. انظر شومسكي (2001أ). تتجسد إحدى النتائج في مبدأ التبكير لدافيد بزتسكي وإيستر طوربكو (2001).

وباقتصارنا على م.ف وم.مص، فإن الموضوعات المشتقة تملك بنية هيكلية يمثل داخلها المصدري مص والفعل الخفيف ف العنوانين الذين يحركان العمليات الداخلية والواردين بالنسبة للضم الخارجي، ويشكلان أيضا نقطتين لتقييم السمات (كضرورة افتراضية) وللعملية حوّل. وإذا صح هذا، فإن خصائص عديدة ستحظى بتفسير موحد. أحد التأملات الممكنة يتمثل في أن البنى المدروسة جيدا التي أبرزتها الأبحاث الخريطية تنبني على خطية السمات في هذين العنوانين،[18] ومن المحتمل في عناوين مرتبطة بها على نحو وثيق (كما هو الحال في العلاقة مص-زمن C-T).

تملك المراحل تلازمات في الوجيهتين: بنية حملية أو بنية قَضَوية تامة في جانب المعنى، واستقلالا نسبيا في جانب الصوت. غير أن التلازم أقل من كامل، مما يثير بعض الأسئلة.

تبدو هذه الهندسة الحاسوبية، إذا كانت قائمة، جيدة قدر الإمكان. فلم يعد بالإمكان صياغة البنية السطحية والصورة المنطقية بوصفهما مستويين، ولذلك تختفيان على نحو مماثل لما حدث للبنية العميقة، كما تم اختزال الحوسبات في سلك واحد. وينبغي أن تكون كل العمليات محركة بواسطة العنصر المحدد للمرحلة، أي الرأس المرحلي مص، ف. وينبغي أن يتضمن ذلك الضم الداخلي. غير أن هناك مشكلا بارزا اكتشفته جولي ليكيت Julie Legate (2003): هناك مواقع لإعادة البناء على مستوى مقولات صغيرة، رغم أن النقل لا يمكنه أن يقف هناك بل يجب أن يستمر نحو الرأس المرحلي الذي يحرك العملية. هناك حل لهذا المشكل المحير طوره سيدريك بويكس (2003)، في إطار مختلف إلى حد ما، مقتبسا أفكارا لدايكو طاكاهاشي (1994). باختصار، الرأس المرحلي هو الذي يحرك عملية النقل، لكنه يعمل بطريقة مقولة مقولة، على نحو اقتُرح عرضا لأسباب أخرى، إلى أن يصل إلى النقطة التي ينبغي أن يقف عندها. فهذا ما يقوم به عادة رأس المرحلة، رغم أنه قد يكون هناك استثناء، خصوصا، إذا أسند رأس المرحلة سماته غير المؤولة إلى الرأس الذي ينتقيه. وعليه، فإن رأس المرحلة مص يمكن أن يتضمن التطابق، فينتقي الزمن ويسند إليه سمات التطابق (غير المقيمة)، فينتج عن هذا أنه عندما يحرك تطابق المصدري صعود م.حد إلى مستوى المركب الزمني، فإن سماته غير المؤولة تقيم ويتم تجميده ويصبح غير قادر على العمل مرة أخرى. وهذا يستدعي العديد من خصائص مبدأ الإسقاط الموسع (م.إ.م)، وإذا عُمّم، فإنه يؤدي كذلك إلى نتائج تجريبية هامة يمكنها أن تذهب بنا بعيدا. غير أن النقل الجزئي داخل المرحلة غير ممكن في حالات أخرى؛ ويمكننا على الخصوص تفادي الغياب المزعج لبنيات مثل: *There seems a man to be in the room** (يبدو أن هناك رجلا في البيت)، دون اللجوء إلى الجهاز الذي اقترح لتفادي هذه الثغرة، والذي عمم على مخصص مراحل المشاركات وعَلى بنيات أخرى مماثلة. لقد قام يان كوستر Jan Koster (2003) في إطار مختلف إلى حد ما بتطوير الفكرة الهامة التي مفادها أن نقل الفعل إلى الزمن هو نقل «جزئي» إلى مص، الموقع الحقيقي للزمن، على نحو مماثل لنقل المركب الاستفهامي في الألمانية الذي ناقشه هنك

18 المترجم: الخريطية نسبة إلى الأعمال المهتمة بالخريطة التركيبية للبنى التركيبية المشار إليها سابقا.

فان رمسديك (1983) Henk van Riemsdijk ودانا ماك دانيل (1989) Dana McDaniel.

يبدو أن الضم الداخلي يحرك في جزء منه على الأقل بواسطة السمات غير المؤولة لرأس المرحلة، كانعكاس لتوافق مسبار-هدف. وبقدر ما يعد هذا صحيحا، فإنه يذهب بنا في جزء من الطريق نحو التفسير المبدأ لمسألة لماذا تتضمن اللغات السمات غير المؤولة، لكن من غير الواضح إلى أي حد يمكننا نذهب بعيدا. فهناك مثلا قدر كبير من البراهين لصالح النقل السلكي المتتابع عبر أرباض المرحلة، أما بالنسبة لنقل-غير الموضوع، فمن غير الواضح معرفة ما إذا كان هناك تبرير مستقل للسمات المطلوبة لصياغة العمليات داخل هذا الإطار للعمل. قد تملك رؤوس المرحلة سمة ربضية، تسمى أحيانا «سمة-م.إ.م» (توسيعا لمفهوم م.إ.م) أو «سمة الظهور» (لأن العنصر المكوِّن يمثل ظهورا للعنصر المنتقل بالمعنى التقني). وتسمح السمة الربضية بالصعود إلى ربض المرحلة بدون توافق السمات. وتبرز أسئلة مماثلة بالنسبة لنقل-الموضوع، خصوصا في اللغات التي يُستوفى فيها م.إ.م بواسطة عنصر غير مرفوع، كما هو الحال في تركيب قلب المركب المكاني، الذي يمكن أن يتطابق مع الزمن، كما في لغات البانطو، رغم أن ذلك لا يحدث في الإنجليزية، ورغم أن هناك ما يشكك في أن القلب المكاني يتطلب نقلا من نوع نقل-الموضوع إلى موقع الفاعل في الإنجليزية. واقترح مارك بيكر (2003) وسيطا لتمييز البانطو من اللغات الهند-أوروبية في هذا الصدد، أسفر عن نتائج تجريبية هامة، ويمكن توسيع خلاصاته إلى ما يبدو أنه نقل إلى الزمن بواسطة سمة حدية في اللغات من نمط السلافية واليابانية، تماشيا مع ما قام به جيمس لافين وروبرت فريدن (2002) James E. Lavine and Robert Freidin وشيجورو مياكاوا (2004) Shigeru Miyagawa. يبدو من الممكن أن الحالات المتنوعة يمكن أن تندرج في إطار مسبار-هدف عبر توسيط الزمن بشكل معين وفاقا لما يقترحه بيكر، لكن مع التشبث بتطابق سمات مسبار-هدف بشرط أو بدون شرط أن يكون الهدف نشيطا، أي بإعراب غير مقيَّم؛ أو وفاقا لما طوره مياكاوا بشكل كبير، حيث تقوم البؤرة بدور التطابق في طبقة معينة من اللغات. وإذا كانت رؤوس المرحلة تملك سمات التطابق (أو سمات البؤرة) وسمات الربض، فإننا نتوقع أن تنطبق معا على نحو متزامن. تنتج مباشرة عن ذلك الافتراض بعض الظواهر الغريبة عن تأثيرات التدخل التي ناقشها كين هيرايوا (2002) Ken Hiraiwa وأندرس هولمبرغ و ثوربيورغ هرورسدوتير (2003) Anders Holmberg and Thorbjö Hróarsdóttir، كما ينتج عنه أيضا تفسير لبعض الاستثناءات الظاهرية لقيد جزيرة الفاعل. إننا ننتقل الآن إلى مجال المشاكل المفتوحة-وهو مجال عريض.

لقد تطرقت بشكل ضئيل للطبقة الغنية من الأبحاث الحاملة لهذه الحوافز العامة في السنوات القليلة الماضية، التي تتطور الآن. ويقدم كتاب سيدريك بويك الحديث: *Islands and Chains* ملخصا شاملا، كما يتضمن بعض الأفكار الجديدة ومواد تجريبية جديدة. ويبدو من الواضح بشكل معقول أن تقدما كبيرا حصل في اتجاه التفسير المبدأ الذي يعالج القضايا الأساسية لعلم أحياء اللغة. بل من الواضح أكثر أن هذه المجهودات تستجيب لشرط أولي لبرنامج بحث ملموس: أبحاث مشجعة كانت قادرة على تجاوز بعض المشاكل القديمة وكشفت بسرعة عن أخرى جديدة،

لم يكن معترفا بها من قبل وكانت متمنعة عن الصياغة، وأغنت بشكل كبير التحديات التجريبية للكفاية الوصفية والتفسيرية التي ينبغي مواجهتها.

مراجع

Antony, Louise M., and Norbert Hornstein, eds. 2003. *Chomsky and his critics.* Malden, Mass.: Blackwell.
Baker, Mark. 2001. *The atoms of language.* New York: Basic Books.
Baker, Mark. 2003. Agreement, dislocation, and partial configurationality. In *Formal approaches to function in grammar*, ed. by Andrew Carnie, Heidi Harley, and MaryAnn Willie, 107–132. Amsterdam: John Benjamins.
Belletti, Adriana, ed. 2004. *The cartography of syntactic structures.* Vol. 3, *Structures and beyond.* Oxford: Oxford University Press.
Boeckx, Cedric. 2003. *Islands and chains: Resumption as stranding.* Amsterdam: John Benjamins.
Boeckx, Cedric, and Norbert Hornstein. 2003. The varying aims of linguistic theory. Ms., University of Maryland, College Park.
Borer, Hagit. 2004a. *Structuring sense.* Vol. 1, *In name only.* Oxford: Oxford University Press.
Borer, Hagit. 2004b. *Structuring sense.* Vol. 2, *The normal course of events.* Oxford: Oxford University Press.
Bošković, Zeljko. 2001. *On the nature of the syntax-phonology interface.* Amsterdam: Elsevier.
Brody, Michael. 1995. *Lexico-Logical Form: A radically minimalist theory.* Cambridge, Mass.: MIT Press.
Brody, Michael. 2003. *Towards an elegant syntax.* London: Routledge.
Cherniak, Christopher. 1995. Neural component placement. *Trends in Neuroscience* 18:522–527.
Cherniak, Christopher, Zekeria Mokhtarzada, Raul Rodriguez-Esteban, and Kelly Changizi. 2004. Global optimization of cerebral cortex layout. *Proceedings of the National Academy of Science* online, 13 January 2004 (print version 27 January 2004, 101(4):1081–1086).
Chomsky, Noam. 1955. *Logical structure of linguistic theory (LSLT).* Ms. Parts of 1956 revision published in New York: Plenum, 1975, and Chicago: University of Chicago Press, 1985.
Chomsky, Noam. 1966. *Cartesian linguistics.* New York: Harper & Row.
Chomsky, Noam. 2001a. Derivation by phase. In *Ken Hale: A life in language*, ed. by Michael Kenstowicz, 1–52. Cambridge, Mass.: MIT Press.

Chomsky, Noam. 2001b. *New horizons in the study of language and mind.* Cambridge: Cambridge University Press.
Chomsky, Noam. 2004. Beyond explanatory adequacy. In *The cartography of syntactic structures.* Vol. 3, *Structures and beyond*, ed. by Adriana Belletti. Oxford: Oxford University Press.
Chomsky, Noam, Morris Halle, and Fred Lukoff. 1956. On accent and juncture in English. In *For Roman Jakobson*, compiled by Morris Halle and others, 65–80. The Hague: Mouton.
Chomsky, Noam, and Howard Lasnik. 1993. The theory of principles and parameters. In *Syntax: An international handbook of contemporary research*, ed. by Joachim Jacobs, Arnim von Stechow, Wolfgang Sternefeld, and Theo Vennemann, 506–569. Berlin: de Gruyter. Reprinted in Noam Chomsky, *The Minimalist Program*, Cambridge, Mass.: MIT Press, 1995.
Cinque, Guglielmo, ed. 2002. *The cartography of syntactic structures.* Vol. 1, *Functional structure in DP and IP*. Oxford: Oxford University Press.
Collins, Chris. 1997. *Local economy.* Cambridge, Mass.: MIT Press.
Collins, Chris. 2002. Eliminating labels. In *Derivation and explanation in the Minimalist Program*, ed. By Samuel David Epstein and T. Daniel Seely, 42–64. Malden, Mass.: Blackwell.
Culicover, Peter. 1970. Syntactic and semantic investigation. Doctoral dissertation, MIT, Cambridge, Mass.
Epstein, Samuel David. 1999. Un-principled syntax: The derivation of syntactic relations. In *Working minimalism*, ed. by Samuel David Epstein and Norbert Hornstein, 317–345. Cambridge, Mass.: MIT Press.
Epstein, Samuel David, Erich M. Groat, Ruriko Kawashima, and Hisatsugu Kitahara. 1998. *A derivational approach to syntactic relations.* Oxford: Oxford University Press.
Erwin, Douglas. 2003. The Goldilocks hypothesis: *Science* 302 (5 December 2003):1682–1683.
Fodor, Jerry. 1975. *Language of thought.* New York: Crowell.
Fox, Danny. 2002. Antecedent-contained deletion and the copy theory of movement. *Linguistic Inquiry* 33: 63–96.
Fox, Danny, and Jon Nissenbaum. 1999. Extraposition and scope: A case for overt QR. In *Proceedings of the 18th West Coast Conference on Formal Linguistics*, ed. by Sonya Bird, Andrew Carnie, Jason D. Haugen, and Peter Norquest, 132–144. Somerville, Mass.: Cascadilla Press.
Frampton, John, and Sam Gutmann. 1999. Cyclic computation, a computationally efficient minimalist syntax. *Syntax* 2:1–27.
Freidin, Robert. 1978. Cyclicity and the theory of grammar. *Linguistic Inquiry* 9:519–549.
Freidin, Robert, and Jean-Roger Vergnaud. 2001. Exquisite connections: Some remarks on the evolution of linguistic theory. *Lingua* 111:639–666.
Fukui, Naoki. 1986. A theory of category projection and its applications. Doctoral dissertation, MIT, Cambridge, Mass. Revised version published as *Theory of projection in syntax*. Cambridge: Cambridge University Press, and Stanford, Calif.:

CSLI Publications, 1995.
Gallistel, C. R. 1997. Neurons and memory. In *Conversations in the cognitive neurosciences*, ed. by Michael S. Gazzaniga. Cambridge, Mass.: MIT Press.
Gallistel, C. R. 1999. The replacement of general-purpose learning models with adaptively specialized learning modules. In *The cognitive neurosciences*, ed. by Michael S. Gazzaniga. 2nd ed. Cambridge, Mass.: MIT Press.
Gambell, Thomas, and Charles Yang. 2003. Scope and limits of statistical learning in word segmentation. Ms., Yale University, New Haven, Conn.
Harris, Zellig S. 1955. From phoneme to morpheme. *Language* 31:190–222.
Hauser, Marc D., Noam Chomsky, and W. Tecumseh Fitch. 2002. The faculty of language. *Science* 198: 1569–1579.
Hiraiwa, Ken. 2002. Multiple Agree. Paper presented at the 25th GLOW Colloquium, Utrecht.
Hoffman, Donald. 1998. *Visual intelligence*. New York: Norton.
Holmberg, Anders, and Thorbjo¨rg Hro´arsdo´ttir. 2003. Agreement and movement in Icelandic raising constructions. *Lingua* 113:997–1019.
Jackendoff, Ray. 1969. Some rules of semantic interpretation in English. Doctoral dissertation, MIT, Cambridge, Mass.
Jacob, Franc¸ois. 1982. *The possible and the actual*. New York: Pantheon.
Jakobson, Roman, Gunnar Fant, and Morris Halle. 1953. *Preliminaries to speech analysis*. Cambridge, Mass.: MIT Press.
Jenkins, Lyle. 1972. Modality in English syntax. Doctoral dissertation, MIT, Cambridge, Mass.
Jenkins, Lyle. 2000. *Biolinguistics*. Cambridge: Cambridge University Press.
Kauffman, Stuart. 1993. *The origins of order*. Oxford: Oxford University Press.
Kayne, Richard. 1981. Unambiguous paths. In *Levels of syntactic representation*, ed. by Robert May and Jan Koster, 143–183. Dordrecht: Reidel.
Kayne, Richard. To appear. Anti-symmetry in Japanese. In *Variation and universals in biolinguistics*, ed. by Lyle Jenkins.
Koster, Jan. 2003. All languages are tense second. Ms., University of Groningen.
Landau, Idan. To appear. Chain resolution in Hebrew V(P) fronting. *Syntax*.
Lasnik, Howard. To appear. Conceptions of the cycle. In *Wh-movement on the move*, ed. by Lisa Lai-Shen Cheng and Norbert Corver. Cambridge, Mass.: MIT Press.
Laughlin, Simon, and Terrence J. Sejnowski. 2003. Communication in neuronal networks. *Science* 301 (26 September 2003): 1870–1874.
Lavine, James E., and Robert Freidin. 2002. The subject of defective T(ense) in Slavic. *Journal of Slavic Linguistics* 10:251–287.
Legate, Julie Anne. 2003. Some interface properties of the phase. *Linguistic Inquiry* 34:506–516.
Lenneberg, Eric. 1967. *Biological foundations of language*. New York: Wiley.
Luria, Salvador. 1974. Transcript of remarks at "A Debate on Bio-Linguistics," a conference organized by the Centre Royaumont pour une science de l'homme, Paris, held at Endicott House, Dedham, Mass., 20–21 May 1974.
Marshack, Alexander. 1985. *Hierarchical evolution of the human capacity*. New York: American Museum of Natural History.

Maynard Smith, J., R. Burian, S. Kauffman, P. Alberch, J. Campbell, B. Goodwin, R. Lande, D. Raup, and L. Wolpert. 1985. Developmental constraints and evolution. *Quarterly Review of Biology* 60: 265–287.
McDaniel, Dana. 1989. Partial and multiple *wh*-movement. *Natural Language & Linguistic Theory* 7: 565–604.
McGilvray, James. 1999. *Chomsky: Language, mind, and politics*. Cambridge: Polity.
Miyagawa, Shigeru. 2004. On the EPP. In *Proceedings of the EPP/Phase Workshop*, ed. by Martha McGinnis and Norvin Richards. MIT Working Papers in Linguistics. Cambridge, Mass.: MIT, Department of Linguistics and Philosophy, MITWPL.
Nevins, Andrew. 2004. Derivations without the Activity Condition. In *Proceedings of the EPP/Phase Workshop*, ed. by Martha McGinnis and Norvin Richards. MIT Working Papers in Linguistics. Cambridge, Mass.: MIT, Department of Linguistics and Philosophy, MITWPL.
Nissenbaum, Jon. 2000. Investigations of covert phrase movement. Doctoral dissertation, MIT, Cambridge, Mass.
Pesetsky, David, and Esther Torrego. 2001. T-to-C movement: Causes and consequences. In *Ken Hale: A life in language*, ed. by Michael Kenstowicz, 355–426. Cambridge, Mass.: MIT Press. *Physics News Update*. 2001. American Institute of Physics Bulletin of Physics, News Number 570, December 21, 2001, reporting study by M. Howard, A. D. Rutenberg, and S. de Vet, *Physical Review Letters*, 31 December 2001.
Piattelli-Palmarini, Massimo, and Juan Uriagereka. To appear. In *Variation and universals in biolinguistics*, ed. by Lyle Jenkins.
Reinhart, Tanya. 1979. Syntactic domains for semantic rules. In *Formal semantics and pragmatics for natural language*, ed. by Franz Guenthner and Siegfried J. Schmidt, 107–130. Dordrecht: Reidel.
Richards, Norvin. 2001. *Movement in language*. Oxford: Oxford University Press.
Riemsdijk, Henk van. 1983. Correspondence effects and the Empty Category Principle. In *Studies in generative grammar and language acquisition*, ed. by Y. Otsu et al., 5–16. Tokyo: International Christian University.
Rizzi, Luigi, ed. 2004. *The cartography of syntactic structures*. Vol. 2, *The structure of CP and IP*. Oxford: Oxford University Press.
Rizzi, Luigi. To appear. On the grammatical basis of language development. In *Handbook of comparative syntax*, ed. by Guglielmo Cinque and Richard Kayne. Oxford: Oxford University Press.
Ross, John Robert. 1967. Constraints on variables in syntax. Doctoral dissertation, MIT, Cambridge, Mass. Published as *Infinite syntax!*. Norwood, N.J.: Ablex, 1986.
Sigurðsson, Halldór. 2003. Meaningful silence, meaningless sounds. Ms., Lund University.
Speas, Margaret. 1986. Adjunctions and projections in syntax. Doctoral dissertation, MIT, Cambridge, Mass.
Stewart, Ian. 1998. *Life's other secret*. New York: Wiley.
Svenonius, Peter. 2003. On the edge. Ms., University of Tromso.
Takahashi, Daiko. 1994. Minimality of movement. Doctoral dissertation, University of Connecticut, Storrs.
Tattersall, Ian. 1998. *The origin of the human capacity*. New York: American Museum of Natural History.

Uriagereka, Juan. 1998. *Rhyme and reason*. Cambridge, Mass.: MIT Press.
Waddington, C. H. 1942. Canalization of development and the inheritance of acquired characters. *Nature* 150:563–565.
Wallace, Alfred Russel. 1889. *Darwinism*. London: Macmillan.
Wells, Spencer. 2002. *The journey of man: A genetic odyssey*. Princeton, N.J.: Princeton University Press.
Wexler, Kenneth. To appear. Lenneberg's dream: Learning, normal language development and specific language impairment. In *Variation and universals in biolinguistics*, ed. by Lyle Jenkins.
Yang, Charles. 2002. *Knowledge and learning in natural language*. Oxford: Oxford University Press.

الأفعال والأزمنة

1. يشير امتلاك الأفعال لخاصية الزمن [التركيبي] إلى أن استعمالها يقتضي مراعاة الاعتبارات التي تخص تصور الزمن. ولا تقتصر هذه الاعتبارات على الفرق المعروف بين الماضي والحاضر والمستقبل، بل إن هناك فرقا آخر يرتبط بدقة بهذا التصور: قد يَفرض علينا استعمال فعل ما الطريقةَ التي يتطلب بها هذا الفعلُ مفهومَ الزمن.

أثيرَ الانتباهُ في عدد من المنشورات الحديثة إلى هذه الجهات الدقيقة بصورة نسقية، ربما لأول مرة. فقد عُقدت تمايزات بين الأفعال، فتم التفريق بين أنواع من قبيل السيرورات، والحالات، والترتيبات، والورودات، والمهام، والإتمامات، وغيرها.

والواضح أن هذه الفروق والتمايزات لا يمكن رصدها أو تفسيرها اعتمادا على الزمن وحده: تدخل في هذا الأمر عوامل أخرى، مثل حضور أو غياب شيء ما، والظروف العامة المرافقة، والوضع المقصود. ورغم ذلك، فإننا نحس أن عنصر الزمن يبقى حاسما؛ فعلى الأقل يتمتع بأهمية تبرر معالجة منفصلة. والحق أنه – كما أريد أن أبين – إذا ركّزنا الاهتمام بالأساس على خطاطات الزمن التي تستلزمها مختلف الأفعال،[1] سيكون باستطاعتنا تسليط الضوء على بعض المسائل التي ما زالت غامضة في هذا المجال. وستتضح هذه الخطاطات الزمنية بوصفها مكونات هامة في التصورات التي تدفعنا إلى استعمال هذه الألفاظ بالطريقة الصحيحة التي نستعملها بها.

ولا نجد غير القليل من الخطاطات في هذا المجال تُطبَّق على نطاق واسع. فبعد أن تُكتشَف في بعض الأمثلة النمطية، تُستعمل بوصفها نماذج للمقارنة في استكشاف وتوضيح سلوك أي فعل.

لا أدعي، عبر إشارتي إلى هذه الخطاطات، أنها تمثل كل الطرق الممكنة التي يمكن للأفعال أن تُستعمل فيها بصورة صحيحة بالنظر إلى التحديد الزمني، ولا أن أقول إن فعلا له استعمال تصفه بوضوح خطاطة معينة، لا يمكن أن تكون له استعمالات أخرى مختلفة يمكن وصفها بدورها اعتمادا على خطاطة أخرى. وفي الواقع، فهذه الأفعال تحديدا، التي تستدعي خطاطتين زمنيتين أو أكثر، هي التي تزودنا بالأمثلة والمعطيات الأهم في فهم الاختلاف التصوري في هذا الإطار–والالتباس الذي لا يُرصَد يؤدي إلى الغموض والارتباك. وعليه، لا أنوي إعطاء قواعد حول كيفية استعمال بعض الألفاظ، وإنما اقتراح طريقة لوصف استعمال هذه الألفاظ. وسأقدم بعض «نقط المقارنة التي نقصد

1. أدرك أنه علي أن أشرح ما أعنيه بالضبط بالخطاطة الزمنية في هذا السياق. سأقوم بهذا الأمر في الوقت المناسب.

بها تسليط الضوء على وقائع لغتنا، ليس عن طريق النظر في التشابهات فحسب، بل عن طريق النظر في التباينات أيضا، دون اعتبارها أفكارا مسبقة على الواقع أن يوافقها».[2]

2. مهمتنا الأولى، إذن، موقعةُ ووصف تلك الخطاطة الزمنية المعروفة التي تدخل في استعمال الأفعال الإنجليزية. ولهذا الغرض، أحتاج إلى بعض الأمثلة الواضحة التي تؤكد، في استعمالها الشائع على الأقل، هذه الخطاطات في صورة خالصة. وسأحاول، في هذه المرحلة، أن أتجنب الألفاظ الملتبسة وأتجاهل الاستعمالات المطاطية وغير الثابتة أو الواقعة على التخوم.

أبدأ بالفرق المعروف بين الأفعال التي تعبر عن أزمنة مستمرة والأفعال التي ليست كذلك. فالسؤال التالي: «ماذا تفعل؟» قد يجاب عنه كالتالي: [3]

I am running (or writing, working,.....) (1)

«أجري (أو أكتب أو أعمل...)»

ولا يمكن أن يجاب عنه بواسطة تعابير من قبيل:

I am knowing (or loving, recognising,.....) (2)

«أعرف (أو أحب أو أتعرف...)»

من جهة أخرى، ليس للزوج المتلائم المكون من السؤال والجواب التاليين:

Do you know? (3)

«هل تعرف؟»

Yes, I do

«نعم، أعرف»

مقابلٌ من قبيل: [4]

Do you run? (4)

«هل تجري»

Yes, I do

«نعم، أجري»

يدعونا هذا الفرق إلى اعتبار الجري والكتابة، وما شابههما، سيرورات تقع وتتقدم عبر الزمن؛ أي أنها، تقريبا، تتكون من أطوار تتلو بعضها في الزمن. ففي الحقيقة، إن من يكون يجري يرفع ساقه اليمنى للحظة، ثم يضعها، وبعد ذلك يرفع ساقه الأخرى، ثم يضعها، وهكذا. غير أنه، وإن كان صحيحا أن المرء يعرف شيئا في زمن معين أو لطور معين من الزمن، فإن المعرفة وما ماثلها ليست سيرورات تجري في الزمن. قد يكون صادقا أنني أعرف الجغرافيا الآن، ولكن هذا لا يعني أن سيرورة معرفة الجغرافيا تجري وتحدث في الحاضر، وهي مكونة من أطوار يتلو بعضها الآخر في الزمن.

دعونا نركز الانتباه، أولا، على طائفة الأفعال التي تقبل أزمنة مستمرة. هناك انقسام ملحوظ داخل هذه الطائفة ذاتها. فإذا كان صادقا أن أحدا يجري أو يدفع عربة الآن، فإنه، وإن كف عن ذلك

2. انظر: L. Wittgeinstein, *Philosophical Investigations*, I, 130-131

3. إن حضور أو غياب شيء ما أمر غير وارد هنا. وتعد جملة «I am pushing a cart» (أنا أدفع عربة) جملة جيدة، في حين أن «I am loving you» (أنا أحبك) تبقى غير ذات معنى.

4. إلا إذا قصدنا معنى مختلفا جدا لحدث الجري. وهو معنى سأتعرض إليه لاحقا.

في اللحظة الموالية، سيكون صادقا أنه جرى أو دفع عربة. ومن جهة أخرى، إنه، وإن كان صادقا أن أحدا يرسم دائرة أو يجري ميلا الآن، فإنه، إن كف عن ذلك في اللحظة الموالية، فإنه قد لا يكون صادقا أنه رسم دائرة أو جرى ميلا.[5] وبعبارة أخرى، إذا توقف أحد عن جري الميل، فإنه لن يكون قد جرى ميلا؛ وإذا توقف عن رسم دائرة، فإنه لن يكون قد رسم دائرة. ولكن من يتوقف عن الجري يكون قد جرى، ومن يتوقف عن دفع عربة يكون قد دفعها. على جري الميل ورسم الدائرة أن ينتهيا أو يكتملا، في حين أنه لا معنى للحديث عن إكمال الجري ودفع العربة أو إنهائهما. هكذا نرى أنه، إذا لم يكن للجري أو دفع العربة نقطة نهاية، فإن جري ميل أو رسم دائرة لهما «ذروة» يجب بلوغها، إذا أردنا أن نعبر فعلا عما نزعمه.

ارتباطا بهذا الأمر، يعد الاستفهام التالي ذا معنى:

For how long did he push the cart? (5)

«ما المدة التي دفع فيها العربة ؟»

في حين يبدو هذا الاستفهام شاذا:

How long did it take to push the cart? (6)

«كم استغرق دفع العربة من الوقت؟»

ومن جانب آخر، يعد الاستفهام التالي استفهاما جيدا:

How long did it take to draw the circle? (7)

«كم استغرق رسم الدائرة من الوقت؟»

أما هذا الاستفهام فيبدو غريبا:

For how long did he draw the circle? (8)

«ما المدة التي رسم فيها الدائرة؟»

وبطبيعة الحال، فالأجوبة الموافقة ستكون هي:

He was pushing it for half an hour (9)

«دفعها لمدة نصف ساعة»

It took twenty seconds to draw the circle (10)

«استغرق رسم الدائرة عشرين ثانية»

(He did it in twenty seconds (11

«أنجز ذلك في عشرين ثانية»

ولا يصح العكس. إن دفع العربة قد يحدث لوقت معين، ولكنه لا يستغرق زمنا محددا لكي يتم؛ ونشاط الرسم قد يشغل مدة زمنية، ولكن رسم دائرة يستغرق زمنا معينا.

نستخلص من هذا نتيجة على قدر كبير من الأهمية. إذا كان صادقا أن أحدا كان قد جرى لمدة نصف ساعة، فإنه يجب أن يكون صادقا أنه جرى خلال كل أطوار هذه النصف الساعة. غير

5. من أجل صياغة والصحة لهذا المعيار، انظر مقال س. برومبرجر (S. Bromberger, 'An Approach to Explanation' in R. J. Butler (ed.), *Analytical Philosophy*, second series, pp. 72-105). ويصحح برومبرجر خطأ ارتكبتُه لـمّا قدمت هذا المعيار في المقال الأصلي (ص ص. 74-75).

أنه، إذا كان صادقا أن من جرى جرى ميلا في أربع دقائق، فإنه لا يمكن أن يكون صادقا أن يكون جرى ميلا في أي طور من الأطوار الفعلية لهذا الزمن، رغم أنه يبقى صادقا أنه كان يجري، أو أنه كان منخرطا في جري ميل، خلال كل الفواصل الفرعية التي تتكون منها تلك الدقائق الإربع. وبصورة مماثلة، إذا كنتُ كتبتُ رسالة في ساعة، فإنني لن أكون كتبتها، مثلا، في الربع ساعة الاول من هذه الساعة. يتضح، إذن، أن الجري وما ماثله، يحصل في الزمن بطريقة منسجمة، ذلك أن كل جزء منه هو من نفس طبيعة الكل. وهذا الامر لا يسري على جري الميل أو على كتابة رسالة، فهذان الحدثان وإن كانا يستغرقان زمنا بدورهما، فإنهما يسيران نحو نهاية ضرورية منطقيا تعكس ما يفيدانه. وبكيفية ما، فإن هذه الذروة ترخي بظلالها خلفيا، فتضفي لونا جديدا على كل ما وقع من قبل.

بهذا نكون قد توصلنا إلى الخطاطة الزمنية لنوعين هامين من الافعال. لنسم النوع الأول، الجري ودفع العربة وغيرهما، «الفاظ نشاط»؛ ولنسم النوع الثاني، نوع «جريُ ميل» و«رسمُ دائرة»، «ألفاظ إنجاز».[6] ويوضح وصفُ هذين النوعين الاولين ما أعنيه بالتعبير عن «الخطاطة الزمنية» للأفعال.

عندما ننتقل إلى الطبقة الأخرى؛ أي الأفعال التي تفتقر إلى أزمنة مستمرة، نقف على شيء تتفرد به بدورها. كما قلنا سابقا، إن أفعالا من قبيل (2)، لا تدل على سيرورة في الزمن، وبذلك قد تحمَل على فاعل لوقت معين صدقا كذبا. وبعض هذه الأفعال يمكن أن يحمَل فقط للحظات مفردة من الزمن (تحديدا)، في حين أن بعضا آخر منها قد يُحمَل على مراحل من الزمن أقصر أو أطول. فالمرء يبلغ قمة التل، أو يربح السباق، أو يستكشف شيئا أو يتعرفه، أو غير ذلك، في لحظة محددة. ومن جانب آخر، يمكن للمرء أن يعرف شيئا أو يعتقده، أو يحب أحدا أو يسيطر عليه، لوقت طويل أو قصير. والصورة التي تأتي بها الأسئلة والأجوبة المتلائمة تقدم الدليل القاطع على ذلك:

At what time did you reach the top? At noon sharp (12)

«في أي وقت بلغت القمة؟ في الزوال بالضبط»

At what time did you spot the plane? At 10:53 A.M. (13)

«في أي وقت لمحت الطائرة؟ في 10 و35 دقيقة نهارا»

For how long did you love her? For three years (14)

«كم من الوقت أحببتها؟ لثلاث سنوات»

How long did you believe in the stork? Till I was seven (15)

«كم من الوقت آمنت بهذا الأمر؟ إلى أن بلغت السابعة من عمري»

ولا يمكن أن يصح العكس.[7]

وقبل أن نتعمق أكثر، نقترح تسمية الأسرة الأولى (أسرة «بلوغ القمة») «ألفاظ إتمام»، وتسمية الأسرة الثانية (أسرة «الحب») «ألفاظ حالة». وبهذا يمكن أن نقول إن الإتمامات تحصل في لحظة مفردة، في حين أن الحالات تستغرق كمية من الزمن.

6. في غياب مصطلحات «خالصة»، أنا مضطر إلى الاقتصار على هذه التسميات (وعلى التسميتين اللتين سأقدمهما لاحقا)، التي تحمل دلالات خارج بنية الزمن (كمعنى النجاح، مثلا). وإذا كانت وجهة نظرنا تقتصر على الخطاطات الزمنية، فيجب ألا نصاب بالدهشة إذا غدت «getting exhausted» (منهَك) إنجازا، و«dying» (يموت) إتماما بمعنانا.

7. حتى في جملة «I knew it only for a moment» (عرفته للحظة فقط) يشير استعمال «for» إلى أنه ينبغي أن نفهم أن هناك مرحلة زمنية، وإن كانت قصيرة جدا.

3. تدعم خلاصتَنا عن الإتمامات سمة «غريبة» أشار إليها جلبرت رايلي G. Ryle (عن أرسطو)، هي أنه «يمكنني أن أقول «I have seen it» (رأيته) ما دام بإمكاني أن أقول «I see it» (أراه)».[8] في الواقع، يمكن توسيع هذه المسألة: عندما نكون بصدد إتمامات خالصة، يرد الزمن الحاضر بصورة حصرية تقريبا معبرا عن حاضر تاريخي أو عن مستقبل موال للحاضر:

Now he finds the treasure (or wins the race…) (16)

«الآن يعثر على الكنز (أو يربح السباق...)»

فهذه الجملة لا تعبر عن عثور أو عن ربح فعليين؛ في حين أن هذا ما يبدو ـ للمفارقة ـ أن الجملتين التاليتين تعبران عنه:

Now he has found it (17)

«الآن عثر عليه»

At this moment he has won the race (18)

«في هذه اللحظة ربح السباق»

إن كوننا نقول جملا من قبيل:

It took him three hours to reach the summit (19)

«تطلب منه بلوغ القمة ثلاث ساعات»

He founds it in five minutes (20)

«عثر عليه في خمس دقائق»

قد يجعل المبتدئ يخلط الإتمامات (التي تنتمي إلى الطبقة الثانية) بالإنجازات (التي تنتمي إلى الطبقة الاولى). ويكفي بعض التفكير والتأمل لتبيان الخطأ. عندما أقول إنني استغرقت ساعة في كتابة رسالة (وهذا إنجاز)، فإن ذلك يقتضي أن كتابة الرسالة وقعت خلال هذه الساعة. وليس هذا حال الإتمامات. فحتى لو قال أحد إن بلوغ القمة أخذ منه ثلاث ساعات، فليس معنى هذا أن «بلوغ» القمة حصل خلال هذه الساعات الثلاث.[9] والواضح أن ما استغرق الساعات الثلاث هو التسلق من أجل بلوغ القمة. ولنبسط الأمر بطريقة أخرى: إذا كتبت رسالة في ساعة، فإنه بإمكاني أن أقول:

I am writing a letter (21)

«إنني أكتب رسالة»

في أي لحظة خلال هذه الساعة؛ غير أنه إذا أخذ مني بلوغ القمة ثلاث ساعات، فإنني لا أستطيع أن أقول في أي لحظة من هذه المدة:

I am reaching the top (22)

---

8. انظر: Dilemmas, p. 102. ويستشهد بأرسطو (Aristotle's *Met.* 1048b). وكما سنرى لاحقا، يعد هذا المثال الخاص خادعا بعض الشيء.

9. من يهوون الأشياء الغريبة والشاذة مثل «الطلب عبور الحدود عشرين دقيقة من الكتيبة»؛ «إنهم يعبرون الحدود». أشير إلى أنني سأتجاهل في هذه المرحلة الأشياء التي تقع على العموم.

«إنني أبلغ القمة»

أما بالنسبة للحالات، فإن افتقارها لزمن مستمر كاف لتمييزها عن الأنشطة والإنجازات؛ كما أن صورة التحديد الزمني تجعلها لا تلتبس بالإتمامات.

بالإضافة إلى هذا، أعتقد أنه سيكون من المفيد أن نشير، ونحن نتحدث عن الحالات، إلى سمة تبدو غير متوقعة؛ وهي سمة لا ترتبط بصورة صارمة باعتبارات يفرضها الزمن.

عندما أقول إنني قد أجري إن لم تكن ساقاي تشكوان من العياء، فإنني لا أعني أنني سأجري إن لم تكن ساقاي تشكوان من العياء. ومن جانب آخر، نرى أن هناك معنى للإمكان «can» هنا، حيث تعني الجملة التالية:

He could know the answer if he had read Kant (23)

«كان بإمكانه أن يعرف الجواب لو كان قرأ كانط»

أنه في هذه الحالة كان سيعرف الجواب. وشبيه بهذا، بمعنى واضح، أن نقول إنه كان بإمكاني أن أحبها لو لم تكن أنانية، هو نفسه أن نقول (كنت) سأحبها لو لم تكن أنانية. إننا نحس بشيء غريب في:

Even if I could like her I would not like her (24)

«حتى وإن كان بإمكاني أن أحبها فإنني لم أكن لأحبها»

يظهر، إذن، أنه في عبارات الشرط تقبل «could» أن تحل محل «would» فيما يتعلق بالحالات. ولنفس السبب، قد تصير «can» حشوية في الجمل المجردة من الوجه البياني من هذا النوع. ومن هنا الإحساس بالتصنع بخصوص تعابير من قبيل «I can know» (يمكنني أن أعرف) أو «I can believe» (يمكنني أن أصدقه) أو «I can like» (يمكنني أن أحب). ويفسر هذا كذلك لما تُستعمل الجملة «I can believe it» في كثير من الأحيان عوض الجملة «I believe it». وحتى نستبق بعض الأمور، فالسؤال «Do you see the rabbit?» (ترى الأرنب؟) قد يجاب عنه بالتوازي بواسطة: «Yes, I can see it» (نعم، يمكنني أن أراه)، أو بواسطة: «Yes, I see it» (نعم، أراه). وسأعود إلى هذا الأمر ثانية، فيما بعد، مقدما مثالا ملموسا، سأحاول تخصيصه أكثر. ويكفي الآن أن أشير إلى أنه إذا كانت استطاعة الجري ليست البتة هي الجري، وكانت استطاعة كتابة رسالة غير كتابتها، فإنه يبدو أن استطاعة المعرفة، بمعنى معين، هي المعرفة، واستطاعة الحب هي الحب، واستطاعة الرؤية هي الرؤية.

يمكن أن نشير أيضا إلى أن بعض الإتمامات لها أيضا هذه السمة. في الحقيقة، أن يكون باستطاعتك أن تتعرف هو، بمعنى معين، أن تتعرف. ومن جانب آخر، ليست استطاعة بدء الجري أو الكف عنه، بأي حال من الأحوال، هي بدء الجري أو الكف عنه؛ وإن كان بدء الجري أو الكف عنه يشكلان بوضوح إتمامين وفقا لخطاطتهما الزمنية. وعليه، فإن الاعتبار القائم على عنصر الزمن ليس كافيا؛ وعلينا البحث عن معيار آخر. إذا اعتبرنا أن المرء باستطاعته أن يبدأ الجري أو يكف عنه بقصد وتعمد، أو باهتمام وعناية، وأن المرء يعتبر مسؤولا عن كونه بدأ الجري أو كف عنه، وليس عن كونه عرف شيئا أو تعرفه، فإننا نتوصل إلى أن السلوك الغريب المشار إليه أعلاه بالنظر إلى «can»، إنما هو سلوك خاص بالأفعال الدالة على الإتمامات التي لا يمكن النظر إليها بوصفها أنشطة قصدية (أو لاقصدية).

هذا الأمر يعود بنا إلى الحالات؛ ذلك أن المرء، حقا، لا يستطيع أن يعرف أو يعتقد أو يحب

بقصد وتعمد، أو باهتمام وعناية، ولا أحد منا يستطيع أن يتحمل مسؤولية أنه «فعل» ذلك.[10] ويمكن أن نخلص من هذا إلى القول إن الحالات وبعض الإتمامات لا يمكن اعتبارها أنشطة البتة.[11]

لمزيد من التوضيح، أضيف أربعة أمثلة تؤكد خطاطاتنا الزمنية من منظور آخر.

بالنسبة للأنشطة: «كان أ يجري في زمن ز» تعني أن اللحظة الزمنية ز تقع على الفاصل الزمني الذي كان أ يجري فيه.

بالنسبة للإنجازات: «كان أ يرسم دائرة في زمن ز» تعني أن ز تقع على الفاصل الزمني الذي رسم فيه أ تلك الدائرة.

بالنسبة للإتمامات: «ربح أ سباقا بين ز1 وز2» تعني أن اللحظة الزمنية التي ربح فيها أ السباق تقع بين ز1 و ز2.

بالنسبة للحالات: «أحبت أ أحدا من ز1 إلى ز2» تعني أن أ أحبت هذا الشخص في كل لحظة بين ز1 وز2.

يبين هذا أن مفهوم الأنشطة يتطلب أطوارا من الزمن ليست فريدة أو محددة. أما الإنجازات فتستلزم مفهوم الأطوار الزمنية الفريدة والمحددة. وبصورة مشابهة، فالإتمامات تتطلب لحظات زمنية فريدة ومحددة، في حين أن الحالات تتطلب لحظات زمنية غير محددة وغير فريدة.

يوحي هذا التصنيف بنوع من الكمال. ولربما دعانا إلى التفكير بأن كل الأفعال يمكن تحليلها اعتمادا على هذه الخطاطات الاربع.

4. بعد أن وضعنا عدتنا التصورية وصقلناها، سنحاول في الفقرات الموالية أن نبين كيف يمكن استخدامها تطبيقيا. هنا، بالطبع، سيكون من الحمق أن ندعي الكمال: كل ما أستطيع فعله هو تقديم بعض الملاحظات بصدد بعض الأفعال أو بعض المجموعات من الأفعال، راجيا أن يتمكن القارئ، إذا رأى أن هذه الملاحظات جديرة بالاهتمام، من تناول أفعال أخرى تدخل في اهتمامه.

هناك عدد كبير من الأفعال التي تدخل بصورة تامة، أو على الأقل في استعمالها المهيمن، في صنف من هذه الأصناف.[12] ويُظهر لنا بعض التأمل أن الجري والمشي والسباحة ودفع شيء أو جره، وما كان من هذا القبيل، تشكل في الغالب أمثلة غير ملتبسة من الانشطة. ورسم لوحة، وصنع كرسي، وبناء منزل، وكتابة رواية أو قراءتها، وإلقاء قَسَم، وإعطاء درس أو تلقيه، وغيرها، وكذا الشفاء من المرض، وما كان من هذا القبيل، هي كلها إنجازات واضحة. أما تحقيق شيء ما أو تعرفه، وفقدان شيء أو العثور عليه، وبلوغ القمة، وربح السباق، وعبور حد ما، والابتداء، والكف، وتلخيص شيء أو إيجازه، والولادة، وكذا الموت، كلها تدخل بوضوح في مجموعة الإتمامات. والامتلاك والرغبة، أو إرادة شيء ما، والحب، والنفور، والكره، والحكم أو السيطرة على أحد أو على شيء ما، وبالطبع، معرفة الاشياء أو اعتقادها، هي كلها حالات جلية.

وارتباطا بهذه المجموعة الأخيرة، تبْرُز فكرة بديهية. فمن منظور الخطاطة الزمنية، أن تكون

---

10. إنها لا «تُفعل» ولا «تُنجَز» بالمرة.

11. استعملت، في ملاحظاتي حول «can»، وفي اعتباري القصد والعناية رائزين ومعيارين للأعمال الحقيقية الأصلية، بعض ما أتذكره من أفكار (غير مولوفة تماما) من محاضرات أوستين J. L. Austin التي ألقاها في هارفارد سنة 1955.

12. لدواعي البساطة الأسلوبية، سأكون، فيما سيلي، غير دقيق بعض الشيء إزاء «استعمال في مقابل ذكر» الأفعال.

متزوجا أو حاضرا أو غائبا، بصحة جيدة أو مريضا، وما كان من هذا القبيل، هي كلها أحداث تسلك سلوك الحالات. وهكذا يمكننا أن نخطو خطوة إلى الأمام لنكتشف أن هذا الأمر صادق بالنسبة لكل الخاصيات والسجايا. فأن يكون الشيء صعبا، أو ساخنا، أو أصفر لبعض الوقت، أو أن يصير أصفر، مثلا، لا يعني أن سيرورة الاصفرار تسري أو تخوض في التحقق. وبصورة مشابهة، فإن حدث «الصعوبة»، وإن كان عبارة عن سيرورة (نشاط أو إنجاز)، يدل على الحالة. ولربما فهمنا الآن لماذا اعتُبرت الرغبة والمعرفة والحب، وما كان مثلها –أي ما يسمى بالعمليات الباطنية في الفلسفة التقليدية- خاصيات أو صفات.

العادات (بالمعنى الأوسع، بما في ذلك الانشغالات والاستعدادات والقدرات، وما كان مثلها) هي أيضا حالات بالمعنى الذي نتبناه. قارنْ بين السؤالين التاليين:

Are you smoking? (25)

«هل أنت خائض في التدخين؟»

Do you smoke? (26)

«هل تدخن (عادة)؟»

السؤال الأول نستفهم بواسطته عن نشاط، أما الثاني فنستفهم به عن حالة. ويفسر لنا هذا الفرق لماذا بإمكان لاعب شطرنج أن يقول في كل الأزمنة إنه يلعب الشطرنج، ولماذا بإمكان عامل شركة الكهرباء العامة أن يقول، وهو يستجم على الشاطئ، إنه يشتغل في الكهرباء العامة.

ليست الأنشطة وحدها بإمكانها أن تكون عادات بهذا المعنى. إن الكتّاب أناس يكتبون كتبا أو مقالات، وكتابة كتاب عبارة عن نشاط، وقابضو الكلاب أناس يلقون القبض على الكلاب، والقبض على كلب عبارة عن إتمام.

أما الأمر الغريب فيكمن في أنه إذا كان سائقو سيارة الأجرة –وهم الناس الذين نقول عنهم دائما إنهم يقودون سيارة أجرة – لا يسوقون فعليا سيارة الأجرة إلا في أوقات معينة، فإن الحكام – أي الناس الذين نقول عنهم دائما إنهم يحكمون بلدا ما – لا يقومون فعليا بحكم البلاد؛ أي أنهم لا يكونون منخرطين البتة في نشاط مخصوص هو حكم البلاد، مقارَنة بالنشاط المخصوص الذي يتمثل في سياقة سيارة أجرة. إن سائق سيارة أجرة قد يقول إنه كان يسوق سيارة أجرة خلال الصباح كله، ولكن ملك كمبوديا يصعب عليه أن يقول إنه كان يحكم كمبوديا خلال الصباح كله. والتفسير الواضح لهذا الأمر أنه إذا كانت سياقة سيارة الأجرة عبارة عن شيء متماثل تماما، كما هو شأن التدخين أو الرسم أو الكتابة، فإن الأنشطة التي يُفتَرض أن ينجزها حاكم ما عبارة عن أنشطة منوعة (مكونة من عناصر متنوعة)، ومتباينة نسبيا من حيث طبيعتها.[13] فهل الحاكم «يحكم» عندما يترأس اجتماعا أو يراقب الجنود فحسب، أم يكون «يحكم» أيضا عندما يكون يأكل خلال عشاء دولة؟ نحس أن بعض أنشطته تلائم أكثر من غيرها وضعه كحاكم، ولكننا نحس أيضا ألا أحد منها بالخصوص يمكن نعته بأنه هو نشاط «الحكم». بالطبع، الرسام [أو الفنان التشكيلي] ينجز بدوره أنشطة متنوعة قد ترتبط بعمله بصورة أو بأخرى (مثل التفرج على الغروب، أو بيع اللوحات)، غير أن هناك نشاطا

13. كما أشار إلى ذلك رايل: *The concept of Mind*, pp. 44, 118.

واحدا، وهو الرسم الفعلي، هو نشاط الرسام.

وتبعا للمصطلحات التي استعملها رايل،[14] سأسمي حالات المدخنين أو الرسامين وما كان مثلهما، حالات مخصوصة، وسأسمي حالات الحكام والنادلين والمربين (والبقالين، الذين لا «يبقلون» فحسب، بل إنهم لا «يبقلون» أيضا: الفعل «بقل» لا يحصل ليوجد) حالات عامة.

يبدو أن هذه هي الأمور الضرورية التي يمكن أن نراها في الحالات، هذا الصنف المحير الذي تتحول فيه الأعمال والأنشطة إلى صفات وعلاقات.

5. لقد رأينا أن الفرق بين معنى النشاط ومعنى الحالة، بالنسبة للتدخين أو الرسم وما كان مثلهما، ليس مقصورا على تصوريْ التدخين والرسم وحدهما. فالعديد من الأنشطة (وبعض الإنجازات والإتمامات) لها معنى حالة «مشتق». غير أن هناك مجموعة من الأفعال لها تميز تصوري. وإذا نظرنا إلى العديد من هذه الأفعال، يصعب الحديث عن الصنف الذي تنتمي إليه «أصليا». مجموعة الأفعال التي أفكر فيها تتضمن عينات فكرية مشهورة مثل «يفكر» و«يعرف» من جهة، و«يرى» و«يسمع» وأسرتهما، من جهة أخرى[15]. في السنوات الأخيرة، نجحت العديد من المنشورات الممتازة في تنبيهنا إلى أن المشاكل والقضايا الإبستمولوجية المزعومة التي تحيط بهذه الأسرة من الأحداث تبدو أقل جاذبية عندما نعي بالأخطاء التي ترتكب في هذا الصنف، والتي نجدها متضمنة في صياغتها ذاتها؛ ذلك أنه يصعب الالتفات إلى المشكل طالما أننا نرفض التحدث عن إنجليزية تتضمن أخطاء.

قد أجازف بالقول إن هذه المقولات والأصناف، التي وضعناها اعتمادا على الخطاطات الزمنية، لا تنصف هذه الاكتشافات الحديثة فحسب، بل أكثر من هذا، إنه بالإمكان استخدامها لعرض وإقصاء بعض الأخطاء والإفراطات في التبسيط التي قد تضعف هذا المنهج برمته. ولنبدأ بحدث «التفكير». واضح أن لهذا الحدث استعمالين أساسيين: إن «think» (فكر) في الجملة الأولى مختلف عنه في الجملة الثانية:

He is thinking about Jones (27)

«يفكر في جونز»

He thinks that Jones is a rascal (28)

«يظن أن جونز نذل»

يدل [«think»] في الجملة الأولى على سيرورة، وفي الجملة الثانية على حالة. الجملة الأولى قد تُستعمَل لوصف ما يفعله شخص ما، أما الجملة الثانية فلا. ويتضح هذا الأمر أكثر عندما نقارن بين الجملتين أعلاه من ناحية أخرى؛ فالجملة الثانية قد نقولها عن شخص ينام نوما عميقا، أما الجملة الأولى فلا يمكنها التعبير عن ذلك. وهذا يبين أن «التفكير في» شيء ما عبارة عن سيرورة تحدث في الزمن؛ أي عبارة عن نشاط قد يسلكه المرء بقصد أو بعناية أو غيرها، ولكن «thinking that» (الظن أن) ليس، بأي حال من الأحوال، كذلك. إذا كان صادقا أنه كان يفكر في جونز لمدة نصف ساعة، فإنه يجب أن يكون صادقا أنه كان يفكر في جونز خلال كل أجزاء هذه المدة الزمنية. غير أنه، وإن كان صادقا أنه «ظن» أن

14. نفسه، ص 118.

15. بالرغم من أن حدث المعرفة يبقى حالة قطعية، فإننا سنرى أن هذه النقطة تستحق نظرة أخرى.

جونز نذلا لمدة سنة، فإن هذا لا يعني بالضرورة أنه كان يفكر في جونز، النذل، في كل دقيقة من هذه المدة الزمنية.

يبين المثال الأخير أن (28) ليست مرتبطة بـ (27) بالطريقة التي يرتبط بها حدث التدخين، في استعماله الدال على العادة، بالتدخين في استعماله الدال على النشاط. إن (28) يماثل حدث الحكم، على الأصح؛ أي أنه مبني على أعمال من أنواع مختلفة. لننظر، مثلا ، إلى سلوك الفلاح «الذي يظن أن» المطر سيهطل. قد نقول، في هذه الحالة، إنه هنا عبارة عن حالة عامة. ومن جانب آخر، فحالة «المفكر» (الذي يفعل التفكير) حالة مخصوصة: إنه رجل كثيرا ما ينخرط في التفكير في أمور كبرى[16].

من السهل أن نرى أن «believing that» (يعتقد أن) هو أيضا حالة عامة. في الواقع، يمكن أن نعوض «he believes that» بواسطة «he thinks that» في جل السياقات. و«believing in» (يؤمن بشيء ما)، وإن كان مختلفا في معناه، فهو ينتمي إلى نفس الصنف؛ فالمرء يمكنه أن «يعتقد في» (أي «يؤمن بـ») القضية العادلة وإن كان نائما.

يدل حدث المعرفة على الحالة بوضوح في استعمالاته المهيمنة. وعلاوة على هذا، فإن جملة «I am knowing» (أنا بصدد المعرفة) لا وجود لها في الإنجليزية، ولذلك فإن حدث المعرفة يدل على حالة عامة. مثلا، معرفتي أن هارفارد توجد بكمبريدج ما هي إلا جزء من عدد هائل من أنشطتي التي ترتب وتنظم، من توجيه الرسائل إلى ركوب الحافلات. والحال أنه لا يمكن أن ننعت أحد هذه الأنشطة بالخصوص بأنه هو الذي يمثل حدث المعرفة. وقد ينتابنا بعض الشك، رغم ذلك، بصدد استعمالات من قبيل «And then suddenly I knew» (وهكذا عرفت فجأة)، ومن قبيل « Now I know it» (الآن أعرفه)، التي تبدو وكأنها من الإتمامات. وفي الحقيقة، فهذا المعنى المتبصر للمعرفة يتوافق بشكل أو بآخر مع هذا الصنف. غير أنه سيكون من الخطأ أن نعتقد أن هذا النوع من «المعرفة» مثلما يرتبط «القبض على الكلاب» بالحالة المخصوصة للقابضين على الكلاب. ويتبين لنا، إذا دققنا أكثر، أنهما مترابطان، على الأصح، مثلما يرتبط «getting married» (أن تتزوج)، وهو إتمام بـ «being married» (أن تكون متزوجا)، وهو حالة عامة. وأحسن طريقة لتبيان ذلك، نورد المثال التالي. هب أن أحدا يحاول أن يجد حلا لمسألة في الرياضيات. فجأة يصرخ: «الآن عرفته». بعد عشر دقائق، يفسر لي حل هذه المسألة. الواضح أنه ما زال يعرفه، مما يعني أنه ليس في حاجة إلى أي برهة أو التماعة من الفهم لكي يفسر الحل. وفي الحقيقة، فطالما أنه يعرفه (بمعنى الحالة)، فإنه منطقيا يستحيل أن يعرفه (بمعنى الإتمام). إن «Now I know it» تفيد أنه لم يعرفه من قبل.

قد ننساق إلى القول إن «knowing» (المعرفة) تعني الابتداء في المعرفة. وهذا إغواء خطير، ذلك أنه يجعلنا نفكر في أنه بمجرد الابتداء في الجري يبدأ نشاط الجري، وبمجرد الابتداء في المعرفة يبدأ نشاط المعرفة. وبالطبع، لأن الابتداء (أو الكف) عن المعرفة لا معنى له، فهذا معناه أن «knowing» ليس بداية لنشاط ما، بل بداية لحالة. وعموما، من الأهمية بمكان تمييز الإتمامات التي تبدأ أنشطة عن الإتمامات التي تستهل بها الحالة.

تنسحب نفس التمييزات على حالة الفهم. ولربما كان معناه الإتمامي، رغم ذلك، مألوفا أكثر

16. لدي شك بصدد «Thinking of something» (التفكير في شيء ما). فاستعمالها ليس مطردا بما فيه الكفاية. ويبدو لي، رغم ذلك، أن لها في الكثير من الأحيان معنى الإتمام: Every time I see that picture I think of you (كلما رأيت تلك الصورة، أفكر فيك).

من معنى «knowing»؛ وقد أشرنا قبل قليل إلى «التماعات» الفهم. غير أن التماعات الفهم هاته هي أيضا إتمامات تستهل بها حالة الفهم الدالة على العموم.

6. علينا أن نحتفظ في ذهننا بكل هذه التفاصيل عندما نشرع في مهمتنا الشاقة، وهي تحليل تصور «seeing» (الرؤية) من منظور البنية الزمنية. يذهب رايل، في كتابيه «مفهوم الذهن»[17] و«متاهات»،[18] بصورة جد متماسكة، إلى أن الرؤية ليست سيرورة ولا حالة، وإنما هي نوع من الإتمام أو النجاح، ذلك أنه يشبه في العديد من الجوانب حدث ربح السباق أو العثور على شيء ما. وقد أشار ف. ن. سيبلي F. N. Sibley، حديثا، إلى أن الرؤية تعمل، في عدد من استعمالاتها الدالة، بصورة تختلف بعض الشيء عن الإتمامات، من منظور البنية الزمنية تحديدا[19]. ويستنتج أنه، بما أن الرؤية ليست –على الأقل ليس دائما- إتماما، فإنها قد تنقلب إلى نشاط قبل أي شيء آخر.

لا جدال في أن الرؤية يمكن أن تكون إتماما بمعنانا. فاستعمالات من قبيل «At that time I saw him» (في ذلك الوقت رأيته)، إضافة إلى إمكان أن نقول «I have seen it» (رأيته)، كما أشرنا آنفا، ما دمنا نستطيع أن نقول «I see it» (أراه)، تبين هذا الأمر بشكل جيد. سأحيل على معنى الرؤية هذا، الدال على «المراقبة» (والذي يماثل بوجه معين معنى التماعة المعرفة أو الفهم)، بوصفه «رؤية».

ليس هذا هو المعنى الوحيد للرؤية؛ يقترح علينا المثال التالي إمكانا آخر:

How long did you see the killer? (29)

Oh, I am quite tall, I saw him all the time

he was in the courtroom. I was watching him.

«كم من الوقت رأيت القاتل؟ قامتي طويلة بما يكفي، رأيته

كل الوقت الذي كان فيه في قاعة المحكمة. كنت أنظر إليه»

والمثال التالي يسير في نفس الاتجاه:

Do you still see the plane? (30)

«هل ما زالت ترى الطائرة؟»

وإضافة إلى ذلك، لا يمكن للجملتين التاليتين:

I spotted him crossing the street (31)

«لمحته يعبرُ الشارع»

I spotted him running (32)

«لمحته يجري»

أن تفهما إلا بمعنى:

I spotted him while he (or I) was crossing the street (33)

17. الفصل الخامس.

18. الفصل السابع. والعنوانان الأصليان للكتابين هما: *The concept of mind* و*Dilemmas*.

19. انظر: Seeking, Scrutinizing and Seeing, Mind, LXIV (1955), 455-478. وفي ص 472 يتحدث عن أشياء من قبيل «One must throughout that length of time be seeing it» (ينبغي من خلال هذه المساحة الزمنية أن نكون نراه).

«لمحته عندما كان يعبر الشارع (أو عندما كنت أعبره)»

I spotted him while he (or I) was running (34)

«لمحته عندما كان يجري (أو كنت أجري)»

ومن جهة أخرى، قد تعني الجملتان التاليتان:

I saw him crossing the street (35)

«رأيته يعبر الشارع»

I saw him running (36)

«رأيته يجري»

ما تعنيه:

I saw him cross the street (37)

«رأيته عبرَ الشارع»

I saw him run (38)

«رأيته جرى»

ويرفض الفعل «spot» (لمح) هذا النقل:

*I spotted him cross the street (39)

«لمحته عبرَ الشارع»

*I spotted him run (40)

«لمحته جرى»

تفسر خطاطتنا الزمنية هذا الفرق. إن «spotting» (لمح) إتمام يفيد لحظة زمنية فريدة وغير قابلة للتجزيء. أما الجري أو عبور الشارع فسيرورتان تتمان في الزمن (والأخير يأخذ وقتا بدوره)، وبهذه الصفة لا يمكنهما أن يقسما إلى لحظات زمنية غير قابلة للتجزيء: فمفهومهما الفعلي يشير إلى مدة/فترة زمنية. وهكذا نرى أن هناك صعوبة منطقية في لمح أحد جرى أو عبرَ الشارع. قد نلمح أحدا عندما يكون يجري أو في الشارع، ولكن «عندما» و«في» تحيلان هنا على الحالات، والحالات يمكن أن تجزأ إلى لحظات زمنية. وعليه، فمن الواضح أن حدث الرؤية في:

I saw him while he was running (or crossing the street) (41)

«رأيته عندما كان يجري (أو يعبر الشارع)»

قد يعني «الرؤية» فحسب، ولكن الرؤية في:

I saw him run (or cross the street) (42)

«رأيته جرى (أو عبر الشارع)»

يجب أن يكون لها معنى يقبل مرحلة من الزمن: سيرورة أو حالة.

غير أن الرؤية لا يمكن أن تكون سيرورة. فلا يمكن أن نجيب عن السؤال التالي:

What are you doing? (43)

«ماذا تفعل؟»

بإنجليزية جيدة بقولنا:

I am seeing (44)

«إنني أرى»

وعليه، فبالرغم من كوننا قد نرى شيئا لمدة طويلة، فهذا لا يعني أننا «نكون نرى» ذلك الشيء لمدة معينة، مع العلم أنه يظل صادقا أننا نرى ذلك الشيء في كل اللحظات خلال هذه المدة. أضف إلى هذا أن ظروفا من قبيل «قصدا» أو «بعناية» لا تصف الرؤية أو تخطئ وصفها، ولا أحد يمكن تحميله مسؤولية رؤية شيء ما، في حين أنه بالإمكان اتهام أحد أو تحميله مسؤولية النظر إليه أو مشاهدته. وعليه، فالرؤية ليست عملا «يتم القيام» به أو «يُنجَز». وأخيرا، فإن علاقة التكافؤ الغريب الحاصل بين: «I can see it» (بإمكاني أن أراه) و«I see it» (أراه)؛ أو حتى بين الجملتين التاليتين:

I saw him all the time (45)

«رأيته طول الوقت»

I could see him all the time (46)

«استطعت أن أراه طول الوقت»

يؤكد ما ذهبنا إليه من كون الرؤية ليست عبارة عن سيرورة، بل هي حالة أو إتمام. فالقدرة على الرؤية يصعب تصورها بوصفها سيرورة.

7. رغم كل هذا، تطرح هنا صعوبة جمة. فبعد إجراء عملية جراحية على العين، قد يقول الطبيب إنه بإمكان المريض الآن أن يرى دون أن ينتبه إلى أنه يرى عبر الضمادة، مثلما قد يقال عن مريض بعد عملية تجبيرية لرجله إنه بإمكانه أن يمشي دون أن يستلزم القولُ أنه يمشي فعلا. وعلاوة على هذا، قد يقدم اعتراض بأن الحالة الجسدية المتمثلة في القدرة على الرؤية (أو استطاعة الرؤية) ليست هي الرؤية. وبذلك فهما مترابطان بنفس الكيفية: حالة القدرة على المشي ضرورية لنشاط المشي، وحالة القدرة على الرؤية ضرورية لنشاط الرؤية. إضافة إلى هذا، وكما اقترحنا سابقا، بإمكاننا أن نقول عن رجل نائم نوما عميقا إنه يعرف الجغرافيا، أو إنه يعتقد أن جونز نذل، أو إنه يحب لوسي، غير أنه لا يمكن أن نقول عن شخص نائم أنه يرى شيئا ما بالمعنى العادي للرؤية. ورغم ذلك، قد يقول أحد ذلك لأنه يستطيع أن يرى، بمعنى أنه ليس أعمى. وعليه، فاستطاعة الرؤية (أو القدرة على الرؤية) عبارة عن حالة مثل المعرفة، ولكن الرؤية ليست كذلك.

يخلط هذا الاستنتاج بين معنيين للفعل «can» (يمكن). فهناك أناس يمكنهم أن يشربوا غالونا من الخمر دفعة واحدة. هب أن أحدا قد أنجز هذا الفعل المشهود منذ دقيقة. سيكون مستبعدا أن يستطيع القيام بذلك ثانية. فهل علينا أن نقول، إذن، في هذه اللحظة، يمكنه، أو بالأحرى، لا يمكنه أن يشرب غالونا من الخمر دفعة واحدة؟ إنه يستطيع ولا يستطيع. لنُشِرْ إلى «can» الأول (في «he can») بواسطة «can2»، ولنشر إلى الثاني (في «he cannot») بواسطة «can1». وبالطبع، فإن «he can2» تعني أنه يمكنه1 إذا كانت معدته فارغة. وحين تكون معدته فارغة، فإنه يمكنه1 ويمكنه2. وبذلك، فإن «can2» يستلزم «can1» ويقتضيه شرطيا: يمكنه1 إذا توافرت شروط معينة. يمكن1 لا يستلزم أي إمكان آخر: بامكانه فعلا. هذا، حتى وإن كانت «يمكنه1 شرب غالون من الخمر» لا تعني أنه يشرب فعلا هذا الشرب المذهل.

لنعد الآن إلى «can» التي قالها الطبيب:

Now he can see (47)

«الآن، يمكنه أن يرى»

ينطق الطبيب بهذه الجملة وعينا المريض ما زالتا تحت الضماد. إنها «can2»: لو نُزع الضماد وكانت العينان مفتوحتين (وظل كل شيء كما هو، بما في ذلك الضوء في الغرفة وغير ذلك)، فإنه يمكن1 أن يرى بعض الأشياء في الغرفة؛ أي أنه سيرى بعض الأشياء في الغرفة. وعليه، فإن التكافؤ المشار إليه آنفا يحصل بين «see» و«can1»؛ أي ذلك الإمكان الذي يقع في أدنى مستوى، وهو المستوى الذي لا يتطلب أي إمكان مشروط. هذا التكافؤ لا يحصل مع الأنشطة: المريض الآخر يمكنه2 المشي، وإن كانت ساقاه ما زالتا مربوطتين إلى السرير؛ إن حُرّر أمكنه المشي، حتى وإن لم يمش فعلا.[20]

غير أن غريمي قد يواصل انتقاداته:

«إنك تغفل بكل وضوح فرقا ساطعا. إن المشي عبارة عن عمل قصدي إرادي، في حين أن الرؤية عفوية وتلقائية. إن لم تكن أعمى، وكان هناك بعض الضوء، إذا فتحت عينيك فإنك لن تتمكن من منع نفسك عن رؤية شيء ما: يبدأ النشاط التلقائي للرؤية. الهضم عبارة عن سيرورة، كما تعرف؛ وبذلك فالتكافؤ الذي تتحدث عنه ينطبق هنا أيضا، ذلك أنه هو بدوره عبارة عن سيرورة تلقائية عفوية. عندما أقول يمكنني أن أهضم لحم الخنزير، فأنا أعني أنني لو كنت أكلت لحم الخنزير، لأمكنني أن أهضم لحمه، أي أنني سأكون أهضم لحم الخنزير. وإذا لم آكل لحم الخنزير، فلن أتمكن من هضمه. وعليه، هناك معنى تكون فيه العبارتان التاليتان:

Can digest pork (48)

«يمكنه هضم لحم الخنزير»

Is digesting pork (49)

«يهضم لحم الخنزير»

تعنيان الشيء ذاته.

هذا الاعتراض لاذع. يعد صادقا أن لا أحد يمكن أن يكون يجري إن لم يكن يجري ، مثلما لا يمكن لشيء أن يكون قطا إن لم يكن قطا. ولكن «can» هنا عبارة عن موجه منطقي مثل «must» (يجب) في:

All cats must be cats (50)

«كل القطط ينبغي أن تكون قططا»

بهذا المعنى، بالطبع، تكون «can be digesting» بنفس معنى «digesting». غير أن «can» موجه مادي. وسيكون من السذاجة أن نشير إلى دكان يبيع لحم الخنزير ونقول:

«الآن لا يمكنني هضمه، ولكن إن أكلته سيكون بإمكاني هضمه لوقت معين، ما دمت هضمتُه، وبعده لن يكون بمكاني هضمه ثانية».

غير أنه ليس من الحمق في شيء أن نقول:

«الآن لا يمكنني رؤية القمر، ولكن عندما تنجلي الغيوم، سيكون بإمكاني رؤيته».

20. يتضح الآن أن «He could1 know the answer if he had read Kant» (كان باستطاعته معرفة الجواب لو كان قرأ كانط)، مثلا، تعني أنه في هذه الحالة سيعرف الجواب، ولكن «He could2 know. . .» لا تعني أنه في هذه الحالة سيعرف الجواب.

8. بإمكاننا أن نستخلص بكل ثقة أن للرؤية معنى الحالة أيضا. وبما أنه لا وجود لسيرورة للرؤية، بل هناك «رؤية» إتمامية (معنى «لمح»)، يبرز سؤال ارتباط «الرؤية» بالرؤية مثلما يرتبط حدث القبض على الكلاب بحالة قابضي الكلاب، أو مثلما يرتبط حدث «المعرفة» (الإتمام) بالمعرفة (الحالة). واضح أن هذا الأخير هو الوارد:

At that moment I saw him (spotted him) (51)

«في تلك اللحظة رأيته (لمحته)»

تعني هذه الجملة أنني لم أره قبل تلك اللحظة. وبذلك، فإن «الرؤية» عبارة عن إتمام يستهل الحالة الدالة على العموم.

نتذكر أن هناك مستويات من الأنشطة والإنجازات والإتمامات يتطلبها مفهوم الحُكم أو مفهوم المعرفة. وبذلك يظل المشكل قائما: ما هي الأنشطة والإنجازات والإتمامات التي ترتبط بهذه الكيفية بمفهوم الرؤية؟ إذا لم أكن أعرف أن هارفارد توجد في كمبريدج، لن أتمكن من إنجاز العديد من الأنشطة بالطريقة التي أنجزها بها. وبصورة مماثلة، إذا كنت لا أرى يدي، فإنني لا أستطيع (ولا يمكنني) أن ألاحظها، أو أشاهدها، أو أفحصها، أو أنعم فيها النظر؛ لا يمكنني أن أحدق فيها، أو التمعن فيها، أو تركيز عيني عليها، أو تتبعها بعيني؛ لا أستطيع أن أرى إن كانت متسخة، لا يمكنني أن ألاحظ ذلك، أو أن أكتشف بسهولة، أو أقول، أو أصف لونها، أو الشكل الذي تبدو عليه الآن؛ وكذلك لن أتمكن (بمعنى معين) من أن أنظر إليها وأراها باعتبارها أداة أو مثل حيوان بخمسة مجسات، أو غير ذلك.

بالطبع، لا يمكن لأي من هذه الأنشطة أن ينجز طول الوقت، أو أن ينجز أحدها بعد الآخر، عندما نرى شيئا ما. عندما أكون أكتب، أرى القلم طول الوقت، وإلا ما تمكنت من أن أكتب بالطريقة التي أكتب بها. ورغم هذا، فأنا لا أتفرج عليه أو أتفحصه أو أنعم النظر إليه؛ قد لا أنظر إليه البتة؛ قد لا ألحظ حتى لونه. وبنفس الكيفية، عندما أمشي ذهابا وإيابا في غرفتي، مستغرقا في التفكير، لا أعير انتباها للأثاث من حولي، فلا أراه في أغلب الوقت، وإلا تعثرت وصدمت الموائد والكراسي في كل مرة. لنفكر في الكيفية التي نرى بها أنوفنا أو إطار نظاراتنا.

وجب الانتباه إلى أن كل الأنشطة التي عددتها، لا يتصف واحد منها بتلك الغرابة التي نرى أن حدث الرؤية يتميز بها. إن أي معجم جيد باستطاعته أن يقول لنا ما نعنيه بـ«watching» (شاهد) و«scrutinizing» (أنعم النظر)، وما ماثلهما، حتى بدون الإشارة إلى «الرؤية».[21] ومن جهة أخرى، لا يمكن إعطاء معنى «للرؤية»، خال من الإلغاز، دون الوقوف على «حالته» بوصفه لفظا دالا على الحالة؛ أي بدون إعطاء هذا النوع من التفسير الذي حاولت إعطاءه. وبنفس الكيفية تقريبا، يظل معنى «knowing» مبهما وغير واضح ما دام يأخذ نوعا من التفسير من قبيل ذلك الذي نعثر عليه في كتاب رايل «مفهوم الذهن»، الذي يقول إن «خدمة البيوت» ستظل نشاطا مبهما ما دمنا لا نعرف نوع الأعمال (المبهمة على أي حال) التي يفترض أن خدام (البيوت) ينجزونها.

21. يعطي معجم *The Concise Oxford Dictionary, 4th ed*. التحديد التالي لـ «watching» (المعنى الوارد): ترك العينين مركزين على شيء، حفظ الشيء تحت الملاحظة، متابعة الشيء بالملاحظة. ويعطي التحديد التالي لـ «scrutinizing»: النظر عن كثب إلى الشيء، فحص الشيء بدقة.

9. قبل أن نغادر حدث الرؤية، أشير إلى معنيين يقعان على التخوم. إذا قال لنا أحد إنه رأى كارمن Carmen الليلة الماضية، فإنه يعني أنه رأى الفصول الأربعة لمسرحية كارمن. وبالإضافة إلى هذا، قد يقول إن رؤية كارمن أخذت منه ثلاث ساعات. ولربما ذهبنا إلى الإجابة عن السؤال التالي: «ماذا تفعل الآن؟» بواسطة الجواب: «إنني أرى كارمن على شاشة التلفزة». وعليه، فإن هناك معنى إنجازيا غريبا لـحدث الرؤية. وهناك استعمال متكلف آخر. إن «الرائي» يرى الأشياء، ولكنه بين الحين والآخر، يرى أشباحا أو فئرانا وردية. وهذا الاستعمال المتكلف أو المتوسع فيه لا ينبغي أن يفاجئنا. سنخطئ خطأ جسيما إذا حاولنا أن نفسر الاستعمالات المألوفة لحدث الرؤية على أساس هذا الاستعمال.

وبناء عليه، لا غرابة في الأمر بالنسبة لحدث «الرؤية»، وإن ظلت بعض المشاكل عالقة بصدد «observing» (ملاحظة) و«watching» (مشاهدة)، وما كان على شاكلتهما. وقد نلفت الانتباه، مثلا، أنه عندما تملك أنشطة- وهذا الأمر يصدق على «observing» أكثر من «watching»- معنى إنجازيا: يتطلب مرور فينوس عبر السماء، أو رجوع نملة إلى بيتها وهي تحمل نحلة ميتة، بعض الوقت. هناك توازيات واضحة بين تصورات الرؤية وتصورات المشاهدة والإنصات (listening)، وهلم جرا. وهكذا، يمكن أن نستمر في هذا النوع من البحث والاستقصاء، ولكن بدون مسائل خاصة قد تصير مملة وتافهة.

وختاما، أظن أنه ليس من المجازفة أن نقول إن المقولات التي وضعناها قد تساعدنا - إلى جانب إثباتها للفروق القائمة بين السيرورات واللاسيرورات - في توضيح الفروق والاختلافات المتغاضى عنها والمربكة داخل طبقة اللاسيرورات. ليس هناك من سبب يدعونا إلى التخوف من أن تنقلب الرؤية، مثلا، بما أنها ليست دائما إتماما، فتصير نشاطا، فتحيي بذلك كل أشباح نظرية المعرفة. «ماذا يحصل عندما ندرك، وما هو الشيء الذي يجعل ذلك يحصل؟ هذا هو مشكل الإدراك».[22] ينبه بَحّار على ظهر المركب، وهو ينظر أمامه: «كل شيء أسود، لا أرى شيئا». وبعد حين: «الآن أرى نجما». يُسأل: «ماذا حصل؟»، «انجلى السحاب». «ولكن، ماذا حصل أيضا؟»، «لا شيء آخر». بالطبع، حصلت أشياء عديدة في العالم وفي البحار. ولكن هذه الرؤية ليست منها.[23]

22. انظر: Boring, Langfeld, and Weld, *Foundations of Psychology*, p. 216.

23. أود أن أعبر عن تشكراتي للأستاذ إسرائيل شيفلر Israel Scheffler لما أدلى به من تعليقات مفيدة على الصيغة الأولى من هذا الفصل.

مراجع

Alston, W.P. 1962. Philosophical Analysis and Structural Linguistics. *The Journal of Philosophy*, LIX 709-720.

Aristotle, 1908-1931. *Works*. Oxford Translation (eds. J.A. Smith and W.D. Ross). Oxford: Clarendon.

Austin, J.L. 1961. *Philosophical Papers*. Oxford: Clarendon.

Boring, E.G., Langfeld, H.S. ans Weld, H.P. 1948. *Foundations of Psychology*. New York: J. Wiley and Sons.

Bromberger, S. 1965. An Approach to Explanation. In *Analytical Philosophy*, second series, ed. R.J. Butler. Oxford: Blackwell.

Butler, R.J., ed. 1962. *Analytical Philosophy*. Oxford: Blackwell.

Butler, R.J., ed. 1965. *Analytical Philosophy*, second series. Oxford: Blackwell,

Cavell, S. 1958. Must We Mean What We Say?. *Inquiry*, I, 172-212.

Ryle, G. 1949. *The Concept of Mind*. New York: Barnes and Noble.

Ryle, G. 1954. *Dilemmas*. Cambridge: Cambridge University Press,

Ryle, G. 1953. Ordinary Language. *Philosophical Review*, LXII, 167-186.

Ryle, G. 1961. Use, Usage and Meaning. *Proceedings of the Aristotelian Society*, supp. Vol. XXV, pp. 223-230.

Sibley, F.N. 1955. Seeking, Scrutinizing and Seeing. *Mind*, LXIV, 455-478.

Strawson, P.F. 1959. *Individuals: an essay in Descriptive Metaphysics*. London: Methuen and Co.

Strawson, P.F. 1950. On Referring. *Mind*, LIX, 320-344.

Vendler, Z. 1967. *Adjectives and Nominalizations* (Papers on Formal Linguistics, N°5). The Hague: Mouton and Co.

Whorf, B.L. 1956. *Language, Thought and Reality: Selected Writings of Benjamin Lee Whorf*, ed. J.B. Caroll. Cambridge, Mass.:Technology Press,

Wittgeinstein, L. 1953. *Philosophical Investigations*. Oxford: Blackwell.

Wittgeinstein, L. 1922. *Tractatus Logico-Philosophicus*. London: Routledge & Kegan Paul.

Ziff, P. 1960. *Semantic Analysis*. Ithaca: Cornell University Press.

ثبت المصطلحات

Achievement	إتمام
Trace	أثر
Pied piped	اجتلاب
Monosyllabic	أحادي المقطع
Reference	إحالة
Fricative	احتكاكي
Binary choice	اختيار مثنوي
Perception	إدراك
Embeddedness	إدماج
Minimalism	أدنوية
Minimal	أدنى
Base	أساس، قاعدة
Onset	استئناف
Syllable -----	ـ مقطعي
Line stability	استقرار الصف
Polarity	استقطاب
Entailment	استلزام
Inference	استنتاج
Projection	إسقاط
Derivation	اشتقاق
Framework	إطار عمل
Externalization	إظهار
Reconstruction	إعادة بناء
Canonical	اعتيادي، قانوني
Case	إعراب
Structural -----	ـ بنيوي
Quirky case	ـ خاص

ـ ممنوح	Dative case
الافتراض الفارغ	The null hypothesis
افتراضي (وجه)	Subjunctive
أفعال لغوية	Speech acts
إفقار	Impoverishment
إقحام	Epenthesis
إلحاق (لاصقة)	Suffixation
إلحاق الرأس	Head adjunction
امتصاص حنجري	Glottal suction
أمر	Imperative
انبثاق	Emergence
انتشار	Spreading
إنجاز	Accomplishment
إنجاز	Performance
انحراف	Obviation
اندماج	Incorporation
انسجام	Harmony
انفجاري	Plosive
أنقُل	Move
أنموذج	Paradigm
أواسط	Infixes
بؤرة	Focus
بحث أدنى	Minimal search
بديلة صَرفية	Allomorphy
البرنامج الأدنوي	The Minimalist Program
بروز	Prominence
بناء للمجهول	Passive
بنية	Structure
ـ تصورية	Conceptual -----
ـ تطريزية	Prosodic -----
ـ حملية، بنية موضوعية	Argument -----
ـ صرفية	Morphological -----

Base -----	ـ قاعدية
Propositional -----	ـ قَضَوية
Indicative	بياني (وجه)
A.T.R (advanced tongue root)	ت.ج. ل. (تقدم جذر اللسان)
Context dependent	تابع للسياق
Intervention effects	تأثيرات التدخل
Nominalization	تأسيم
Morphotactics	تأليف صرفي
Phonotactics	ـ صوتي
Compositionality	تأليفية
Perfective	تام
Interpretation	تأويل
Phonetic -----	ـ صوتي
Interpretability	تأويلية
Focalization	تبئير
Dependency	تبعية
Parameter setting	تثبيت الوسائط، البرامترات
Subsegmental	تحت قطعي
Nesting	تحضين
M-command	تحكم أقصى
C-command	ـ مكوني
Analyticity	تحليلية
Mutation	تحول
Neutralization	تحييد
Dissimilarity	تخالف
Underspecification	تخصيص ناقص
Haplology	ترخيم المتشابه
Construction	تركيب، بناء
Symbolization	ترميز
Synchronic	تزامني
Diachronic	تزمني
Percolation	تسرب

VP-fronting	تصدير المركب الفعلي
Declension	تصريف الاسم
Alignment	تصفيف
Concept	تصور
Gemination	تضعيف
Agreement	تطابق
Succession	تعاقب
Suppletion	تعاوض
Polysemy	تعدد دلالي
Readjustment	تعديل
Complexity	تعقيد
Principled explanation	تفسير مُمَبْدَأ
Decomposition	تفكيك
Contrast	تقابل
Contrastiveness	تقابلية
A.T.R-ness	تقجل-ية
Discontinuity	تقطع
Syllabification	تقطيع
Reduplication	تكرار صوتي
Base recursion	تكرار قاعدي
Representation	تمثيل
Symmetry	تناظر
Ablaut	تناوب حركي
Spell-out	تهجية
Devoicing	تهميس
Parallelism	تواز
Feature matching	توافق السمات
Complementary distribution	توزيع تكاملي
Generation	توليد
Compilation	توليف
Combination	توليفة، تأليف
Binary	ثنائي، مثنوي

Charm	جاذبية
Root	جذر
Molecular	جزيئي
Broken plural	جمع تكسير
Gender	جنس
Aspect	جهة
Sonority	جهرية
Aspectual	جهي
State	حالة
Generic -----	ـ جنسية، عامة
Specific -----	ـ مخصوصة
Velar	حجابي
Labialized velar	حجابي مشفّه
Boundary	حد
Event	حدث
Truncation	حذف
Antecedent-contained deletion	حذف السابق المتضمِّن
Vowel	حركة، صائت
Cold -----	ـ باردة
Archetypal -----	ـ طرازية
Schwa	ـ مختلَسة
Lax -----	ـ مرتخية
Diphthong	ـ مزدوجة
Calculus	حساب
Matrix -----	ـ المصفوفة
Redundancy	حشو
Glottal	حنجري
Computation	حوسبة
Transfer	حوّل
Animate	حي
Animacy	حيوية
Scope	حيِّز

Extrinsic	خارجي، غير ملازم
Property	خاصية
Output, outcome	خرْج
Violation	خرق
Prosodic properties	خصائص تطريزية
Edge -----	ـ ربضية
Specificity	خصوص، خصوصية
Schema	خُطاطة
Linearity, Linearization	خطية
Back	خلفي
Internalist	داخلي
Input	دَخْل
Particle	دقيقة
Particular	دقيقي
Semantics	دلالة
Conceptual------	ـ تصورية
Generative-------	ـ توليدية
Cognitive------	ـ معرفية
Formal-------	ـ صورية
Lexical--------	ـ معجمية
Mentalistic--------	ـ ذهنية
Model-theoretic semantics	دلالة النماذج النظرية
Truth-theoretic semantics	ـ نظرية الصدق
Semantic	دلالي
------ memory	ذاكرة ـ ة
----- features	سمات ـ ة
------ anomaly	شذوذ ـ
Sign	دليل
Brain	دماغ
Integration	دمج
Late insertion	دمج متأخر
Lexical insertion	دمج معجمي
Pragmatics	ذريعيات

Mind	ذهن
F-mind	ـ وظيفي
Coda	ذيل
Head	رأس
Edge	رَبَض
----- phase	ـ المرحلة
Mapping	ربط
Clitic cluster	رتل متصلي
Bundles	رزمات
Resonance	رنين
Sonorant	رنيني
Time	زمن (دلالي أو معجمي)
Tense	زمن (صرف-تركيبي)
Pair	زوج
Prefix	سابقة
Low	سافل
Precedence	سبق
Crash	سقوط
Well-formedness	سلامة التكوين
Cycle, cyclicity	سلك، سلكية
Hierarchic	سُلَّمي
Hierarchy	سلمية
Feature	سِمَة
Occurrence -----	ـ الظهور
Inflectional -----	ـ صُرفية
Hot -----	ـ ساخنة
Contextualist	سياقي
Process	سيرورة
Cortical networks	شبكات لحائية
Grid	شبكة
Tow-dimentional grid	شبكة ثنائية البعد
Person	شخص
Truth conditions	شروط الصدق

Fission	شطر
Labial	شفوي
Exhaustivity	شمولية
Vowliness	صائتية
Consonant	صامت
Truth	صدق
Morphology	صرف
Concatenative -----	ـ سلسلي
Morphophonemic -----	ـ صوتي
Zero -----	ـ صفري
A-morphous -----	ـ غير لاصقي
Empty -----	ـ فارغ
Non concatenative -----	ـ لاسلسلي
Distributed -----	ـ موزع
Inflection	صُرفة
Morphosyntactic	صرف-تركيبي
Morphophonological	صرف-صواتي
Morpheme	صَرفية
Raising	صعود
Quantifier raising	ـ السور
Tier, line	صف
Labeled line	ـ مُعَنوَن
Fusion	صهر
Phonology	صِواتة
Dependency -----	ـ تبعية
Particle -----	ـ دقيقة
Autosegmental -----	ـ تنضيدية
Phonetic	صوتي
phonetics	صوتيات
Phonetic form	صورة صوتية
Logical -----	ـ منطقية
Elative	صيغة التفضيل

Virtual-conceptual necessity	ضرورة تصورية-افتراضية
Merger	ضَمْ
Merge	ضُم (عملية الضم)
First merge	الضم الأول
Later -----	ــ المتأخر
Pair-and-set merge	ضم الزوج-و-المجموعة
Agree	طابِق
Class	طبقة
Floating	عائم
High	عال
Operator	عامل
Government and binding	العاملية والربط
Government	عاملية، عمل
Expression	عبارة
Node	عجرة
Number	عدد
Inalterability	عدم قابلية التغيير
Glide	علة
Height	عُلوّ
Action	عمل
Cognitive processes	عمليات معرفية
Overt operation	عملية ظاهرة
Covert -----	ــ خفية
Element	عنصر
Null element	ــ فارغ، سكون
Imperfective	غير تام
Unrounded	غير مستدير
Irreflexive	غير منعكس
Unmarked	غير موسوم
Disjunctive	فاصل
Checking	فحص
Idiosyncratic	فرادي

Split morphology hypothesis	فرضية الصرف المشطور
Lexical morpheme -----	ـ الصرّفية المعجمية
Separation -----	ـ الفصل
Disjunctivity	فصلية، فصْل
Innateness	فطرية
Poverty of stimulus	فَقر المنبه
Dissociation	فك الربط
Thought	فكر
Suprasegmental	فوق قطعي
Rhyme	قافية
Modular	قالبي، مجزوئي
Modularity	قالبية، مجزوئية
Dictionary	قاموس
Human capacity	قدرة إنسانية
Indexing	قَرْن
Index	قرينة
Intentional	قصدي
Intentionality	قصدية
Shortening	قصر
Proposition	قضية
Segment	قطعة
Autosegment	ـ مستقلة
Segmental	قطعي
Inversion	قلب
Locative inversion	قلب التركيب المكاني
Allomorphy rules	قواعد بديلية
Word formation -----	ـ بناء الكلمة
Disjunctive -----	ـ فصلية
Exchange -----	ـ تبادلية
Illocutionary force	قوة إنجازية
Constraint, condition	قيد
Extension -----	ـ التوسيع
Subject island -----	ـ جزيرة الفاعل

Specified subject -----	ـ الفاعل المُخصَّص
Non-tampering -----	ـ اللاتغيير
Phase impenetrability -----	ـ انغلاق المرحلة
Value	قيمة
Island conditions	قيود الجزر
Necessary -----	ـ ضرورية
Compression	كَبْس
Mass	كتلة
Explanatory adequacy	كفاية تفسيرية
Descriptive -----	ـ وصفية
Compound nouns	كلمات مركبة
Universal	كلي
Universality	كلية
Asymmetry	لا تناظر
Asymmetrical	لا متناظر
Affixless	لاإلصاقي
Suffix	لاحقة
Affix	لاصقة
Discrete infinity	اللامتناهي(ة) المنفصل(ة)
Instantaneous	لحظي
Biolinguistics	لسانيات أحيائية
Agglutinative language	لغة إلصاقية
I-language	لغة داخلية
E-language	ـ خارجية
Preterit	الماضي
Data-processing principles	مبادئ معالجة المعطيات
Principles and parameters	مبادئ ووسائط (برامترات)
Principle	مبدأ
A-over-A	ـ أ-على-أ
Extended projection -----	ـ الإسقاط الموسع
Panini s -----	ـ بانيني
Earliness -----	ـ التبكير

Rigidity -----	ـ الصلابة
Elsewhere -----	ـ في مكان آخر
Finite	متصرّف
Clitic	متصل
Proclitics	متصلات سابقية
Transitive	متعدٍّ
Polysyllabic	متعدد المقاطع
Subset	مجموعة فرعية
Singleton -----	ـ منفردة
Concrete	محسوس
Locus	محل
Locality	محلّية
Predicate	محمول
Specifier-head	مخصص-رأس
Specifier-complement	ـ فضلة
Compensatory lengthening	مد تعويضي
Dictionary entry	مدخل قاموسي
Lexical -----	ـ معجمي
Lengthening	مدّ
Embedded	مدمج
Conjunct	مربوط
Phase	مرحلة
Period (of time)	مرحلة زمنية
Phrase	مركب
Determiner -----	ـ حدي
Complementizer -----	ـ مصدري
Syntactocentrism	مركزية تركيبية
Coalescence	مزج، إدغام
Path	مسار
Probe	مسبار
Round	مستدير
Autosegmental	مستقل القطع

Context free	مستقل عن السياق
Continuous	مستمر
Level	مستوى
Interface -----	ـ وجيهي، وِجاهي
Bar levels	مستويات الإسقاط
Idioms	مسكوكات
Linear correspondence axiom	مسلمة التوافق الخطي
Participial	مشارك
Labialized	مشفّه
Stranded affix filter	مصفاة اللاصقة التائهة
Matrix	مصفوفة
Concord	مطابقة
Processing	معالجة
Experiencer	مُعان
Lexicon	معجم
Lexicalization	معجَمة
Lexeme	معجمية
Count	معدود
Cognition, knowledge	معرفة
F-knowledge	ـ وظيفية
Meaning	معنى
A.T.R paradox	مفارقة ت.ج.ل.
Vocabulary	مفردات
Syllable	مقطع
Categories	مقولات
Inflexional --------	ـ صُرفية
Substantive --------	ـ جوهرية
Functional --------	ـ وظيفية
Reduplicant	مكرّر
Constituent	مكون
Phonological component	مُكوّن صواتي
Utterance	ملفوظ

Faculty of language	ملكة لغوية
Potential	ممكن
Obviative	منحرف
Agent	منفذ
Notational convenience	مواضعة اصطلاحية
Modal, modality	موجه، موجهية
Encyclopedic	موسوعي
Markedness	موسومية
Topic	موضِع
Primitive object	موضوع أوّلي
Lowring	نازل
Computational efficiency	نجاعة حاسوبية
Particular grammar	نحو خاص
Universal -----	ـ كلي
Bleeding	نسف
System	نسق
Combinatorial	ـ تأليفي
Conceptual-intentional -----	ـ تصوري قصدي
Computational -----	ـ حاسوبي
Sensorimotor -----	ـ حسي حركي
Systematicity	نسقية
Activity	نشاط
Growth	نشوء
Articulatory	نطقي
Theory	نظرية
Case	الإعراب
Tucking-in -----	ـ الإقحام
Copy -----	ـ النسخة
X-bar -----	ـ س-خط
Optimal -----	ـ مثلى
A-movement	نقل الموضوع
Successive cyclic movement	ـ سلكي متتابع

A-movement	ـ غير الموضوع
Imperfection	نقيصة
Type	نمط
Phenotype	نمط عضوي ظاهري
Typology	نمطية
Model	نموذج
Nucleus	نواة
Goal	هدف
Glottal stop	همزة
Feature geometry	هندسة السمات
Template	هيكل
T-marker	واسم تحويلي
Conjunctive	واصل
Mood	وجه
Conditional	شرطي
Jussive	ـ طلبي
Interface	وجيهة، وِجاه
Uniformity	وحدة
Paradigm uniformity	وحدة الأنموذج
Lexical item	وحْدة معجمية
Vocabulary item	وحدة مفردية
Occurrence	ورود
Exceptional case-marking	وسم إعرابي استثنائي
Parameter	وسيط، برامتر
Situation	وضع

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء

يقدم الكتاب نظريات وافتراضات عن هندسة الملكة اللغوية وعلاقتها بالهندسة العامة للفكر البشري، وعن تطورها وأسسها الأحيائية، والقيود الحاسوبية والمعرفية الموضوعة على تصميمها الأمثل. والناظم بين النصوص المترجمة أنها تتكامل في إعطاء نظرة شاملة ومتسقة عن أهم ما وصل إليه البحث في أسس النظرية اللسانية ومبادئها في التركيب والدلالة.

الثمن 34 درهما